أكاديمية تفسير
TAFSEER ACADEMY
صناعة المفسر

صفات المنافقين في ضوء سورة التوبة

بحث مقدم للأعمال التكميلية ضمن مقرر البحث

الدفعة الثانية – برنامج السعدي – المستوى الأول

إعداد الطالبة

نادرة أحمد رياض

إشـــــراف

الدكتور / **عبد الله موسى أبو المجد**

الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

1436 هـ - 1437 هـ

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على اشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الحمد لله الذي افتتح كتابه بالحمد فقال : {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} ، وافتتح خلقه بالحمد فقال : { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ} ، واختتمه بالحمد فقال بعدما قضى بين الخلق فأدخل أهل الجنة الجنة وأدخل أهل النار النار : { وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}

فلله الحمد في الأولى والآخرة وله الحمد دائما وأبدًا، له الحمد بالإيمان، وله الحمد بالإسلام، وله الحمد بالقرآن.

أما بعد،

فإن أولى ما تنفق في تعلمه الأعمار، وتهون من أجله الأخطار، وتبذل في فهمه الأموال، كتاب الله تعالى، فهو أجل الكتب قدرًا، وأغزرها فائدة ونفعًا ، وأجملها حكمة وبيانًا، وأوضحها دليلًا ومنهاجًا، جعله الله صراطا ومنهاجًا، وللصدر شفاءًا ودواءًا، وللأسقام جلاءًا وذهابًا، من تدبره وتأمله استغنى به عن الأهل والمال والولد وكفاه الله همه وملأ قلبه سعادة وانشراحًا، ومن أعرض عنه أورثه حزنًا وشقاءًا لا يزول ولو حاز كنوز الأرض وملك الدنيا بحذافيرها فقد قال تعالى : { وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126)}

لذا كان حريا بنا أن نولي هذا الكتاب عناية ونصرف إليه همتنا لفهم معانيه وللإبحار للكشف عن كنوز ما يحويه، فالله أسأل أن يجعلنا من أهل القرآن وخاصته.

ومما يولي الطالب لتفسير القرآن عنايته الأوصاف في القرآن عموماً ووصف القرآن للنفس الإنسانية خصوصًا ، فقد قال الله تعالى:{لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}، فإن هذا القرآن أنزله الله تعالى دستورًا للعبد ليعرف به كيف يجب عليه أن يكون، فنعرف الصفات البشرية لنهذبها ، ونعرف صفات المؤمنين والمتقين لنتحلى بها ، ونعرف صفات الكفار والمنافقين والفساق لنتخلص منها.

ولأن النفاق شديدٌ خطره على الأمة وعلى الفرد نفسه ؛ فإن المنافقين هم أس كل بلاء، لذلك قال الله تعالى فيهم:{هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ } ، ولأن المنافق يخسر دنياه وأخراه ونحن أُمِرنا بالتخلي من كل صفاتهم فقد قال النبي ﷺ { أَرْبَعٌ مِنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا ، **وَمَنْ كَانَتْ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ فِيهِ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا** : مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ } خَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ، لأجل هذا كله كان يجب علينا معرفة صفاتهم للحذر منهم والحذر منها ، وقد قيل :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " لا يعرف الاسلام من لم يعرف الجاهلية".

ولما كانت سورة التوبة هي أكثر لسور اهتمامًا بذكر أوصافهم وتجليتها حتى قال فيها ابن عباس: " هي الفاضحة ما زالت تنزل ، ومنهم حتى ظننا أنه لا يبقى منا أحد إلا ذكر فيها."

فقد وقع اختياري على الموضوع " صفات المنافقين في ضوء سورة التوبة "

وسأجلي في السطور القادمة أهمية الموضوع وسبب اختياره والأهداف من دراسته، سائلة في ذلك العون والسداد من الله وحده.

➢ أهمية موضوع البحث وسبب اختياره:

تتضح أهمية موضوع هذا البحث فيما يلي :

* أهمية تأمل الأوصاف القرآنية .
* خطورة النفاق على المجتمع وعلى صاحبه .
* انتشار المنافقين في زماننا لكثرة وسائل التواصل والانفتاح.
* تنوع صفات المنافقين الواردة في السورة .

➢ أهداف دراسة الموضوع :

* الوقوف على أهم موضوعات سورة التوبة
* الوقوف على صفات المنافقين للحذر منها .
* معرفة صفات المنافقين للابتعاد عنها.

➢ حدود البحث:

جمع ودراسة الآيات التي تحدثت عن صفات المنافقين في سورة التوبة، وبيان موقف القرآن منهم وعاقبة نفاقهم من خلال السورة وهي خمس وثمانون آية من (41) إلى (127).

➢ الدراسات السابقة:

من خلال البحث وجدت بعض الدراسات تتكلم بصورة أوسع ، أي عن النفاق في القرآن كله ، بل ربما القرآن والسنة وهي :

* ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ – د/ عبد الرحمن حسن حبنكة

وقد تم الاطلاع عليه وهو كتاب موسوعي في المنافقين ووصفهم .

* السمات الشخصية للمنافقين في ضوء القرآن الكريم والسنة والنبوية – الباحثة/ جمالات محمود نايف الجرايدة

أما في سورة التوبة فقط فهي:

* صفات المنافقين في سورة التوبة – د/ غسان عبد السلام حمدون .
* النفاق والمنافقون قي ضوء سورة التوبة – د/ محمد بن سريع بن عبد الله السريع

وقد تم الاطلاع عليه وهو قريب من بحثنا إلا أن بحثنا يزيد عليه في بيان التوجيهات العلاجية لتلك الصفات

* موقف المنافقين من الجهاد من خلال سورة التوبة – دراسة موضوعية – دورامي ياسينج جئ مه
* صفات المنافقين من خلال سورة التوبة – الباحث/ فؤاد حسن على أحمد حباجة

➢ خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى مقدمة وتمهيد وسبعة فصول وخاتمة والفهارس :

المقدمة :وفيها وفيها أهمية موضوع البحث وأسباب اختياره، وأهدافه، وحدوه، والدراسات السابقة، وخطته ومنهج البحث.

التمهيد : وفيه:

* بين يدي سورة التوبة: أسماء السورة وعلاقة الأسماء بالموضوع – نزولها (مكانه – زمانه- سببه) – عدد آيها – موضوع السورة الكريمة ومقاصدها – مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها .
* النفاق: تعريفه (لغة – شرعًا) – أسباب ظهوره – أنواعه .

➢ الفصل الأول: الصفات العقدية ،وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الريب والشك.

المبحث الثاني: الاستهزاء بالله وبرسوله وبآياته.

المبحث الثالث: موالاة الكفار .

- **الفصل الثاني: الصفات التعبدية ، وفيه خمسة مباحث:**

المبحث الأول: الكسل في الصلاة

المبحث الثاني: كراهية الإنفاق في سبيل الله والبخل

المبحث الثالث: التثاقل عن الجهاد

المبحث الرابع: اختلاق الأعذار لترك الطاعات

المبحث الخامس: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف

- **الفصل الثالث: الصفات (الكبائر) القلبية ، وفيه خمسة مباحث:**

المبحث الأول: محبة انتصار الباطل على الحق.

المبحث الثاني: الخوف والجبن.

المبحث الثالث: الرضا بالدنيا والعمل لأجلها فقط.

المبحث الرابع : الفرح بالمعصية.

المبحث الخامس: الانشغال برضا الناس عن رضا الله.

- **الفصل الرابع: الصفات الخلقية، وفيه ثلاث مباحث:**

المبحث الأول: الكذب

المبحث الثاني: كثرة الحلف

المبحث الثالث: خلف الوعد

- **الفصل الخامس: الصفات الاجتماعية ، وفيه خمسة مباحث:**

المبحث الأول: نشر الفتن بين المؤمنين

المبحث الثاني: تدبير المكائد للمؤمنين

المبحث الثالث: تشتيت شمل المؤمنين والتفريق بينهم

المبحث الرابع: التربص بالمؤمنين

المبحث الخامس: الاستهزاء والسخرية من المؤمنين

- **الفصل السادس: حالهم مع القرآن ، وفيه أربعة مباحث:**

المبحث الأول: عدم زيادة الإيمان بالقرآن

المبحث الثاني: عدم محبة مجالس القرآن

المبحث الثالث: الخوف من نزول القرآن خشية أن يفضحهم

المبحث الرابع : عدم العمل بالقرآن

وفي كل مبحث (صفة) يوجد أربعة مطالب :

المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها .

المطلب الثاني: خطورة الصفة .

المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق.

المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة .

- **الفصل السابع : مآلهم وعاقبتهم ، وفيه مبحثان:**

المبحث الأول : في الدنيا وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: نزول القرآن يفضحهم

المطلب الثاني: الطبع على القلب

المطلب الثالث: خروجهم من مسمى الإيمان

المطلب الرابع: حصول العذاب الدنيوي لهم

المطلب الخامس : النهي للمؤمنين عن الدعاء والاستغفار لهم

المبحث الثاني : في الآخرة وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول : في القبر

المطلب الثاني: عند رؤية الرب

المطلب الثالث: عند الحساب

المطلب الرابع : على الصراط

المطلب الخامس: في النار

- **الخاتمة:**

فيها : النتائج والإرشادات العامة من السورة والأثر الشخصي للبحث على الباحثة نفسها

- **الفهارس**

* فهرس المصادر والمراجع
* فهرس الموضوعات

منهج البحث:

* سأسلك في بحثي المنهج الاستقرائي ، وذلك حسب الخطوات التالية :
* قراءة السورة قراءة متأنية تعين على تدبرها وفهمها.
* جمع الآيات التي وردت فيها صفات المنافقين مفي السورة
* تصنيف الآيات إلى أقسام ؛ عقدية، تعبدية، قلبية، خلقية ، اجتماعية.
* دراسة كل صفة من هذه الصفات من جهة : خطورتها ، عاقبتها، علاجها.
* الرجوع إلى كتب أهل العلم من تفاسير ومعاجم ودراسات سابقة
* عزو المعلومات وتوثيقها
* تخريج الأحاديث من مظانها المعتبرة مع الاكتفاء ببيان درجة الحديث إن لم يكن مخرجا في الصحيحين، وسأعتمد في ذلك على رأي علماء الحديث المشهورين؛ لأن البحث ليس بحثا حديثيا، فيطول بذكر التخريجات ودراسة الأسانيد.
* التعريف بغير المشهورين من الأعلام تعريفًا موجزًا في الحاشية عند ذكره في أول موضع.
* النقد العلمي المناسب المنضبط .

والله أسأل العون السداد والتوفيق والنفع لنا وللمسلمين بهذا الجهد المقل

الطالبة / نادرة أحمد رياض

التمهيد

- بين يدي سورة التوبة.
- النفاق: تعريفه – أسباب ظهوره – أنواعه .

بين يدي السورة

❖ أسماء السورة وعلاقة الأسماء بموضوع السورة:

تعد سورة التوبة بعد سورة الفاتحة من ناحية كثرة الاسماء.[1]

○ الاسم الأول: سورة التوبة

وجه التسمية: لأنّ فيها التّوبة على المؤمنين [2] فقد وردت فيها توبة الله تعالى عن الثّلاثة الّذين تخلّفوا عن غزوة تبوك،وهو حدثٌ عظيمٌ [3] ولأنها تدعو إلى التوبة .[4]

○ الاسم الثاني: سورة (براءة)

وجه التسمية: لأنها نزلت بإظهار البراءة من الكفار.[5]

○ الاسم الثالث: سورة الفاضحة

وجه التسمية : لأنها فضحت المنافقين عند نزولها بإظهار نفاقهم وكشف أسرارهم وإنبائهم بما في قلوبهم من الكفر وسوء النيات.[6]

○ الاسم الرابع: سورة المخزية

وجه التسمية: لقوله تعالى: {وأنّ الله مخزي الكافرين} [التّوبة: 2][7]

○ الاسم الخامس: سورة المنكلة

وجه التسمية : لما فيها من التّنكيل للمنافقين.[8]

○ الاسم السادس: سورة العذاب أو عذاب

وجه التسمية: لأنّها نزلت بعذاب الكفّار، أي عذاب القتل، والأخذ حين يثقفون.[9]

---

[1] - أسماء سور القرآن وفضائلها – لمنيرة الدوسري
2 - فتح القدير للشوكاني
[3]- التحرير والتنوير لابن عاشور
[4] - إرشاد الساري شرح صحيح البخاري.
[5]- أسماء سور القرآن وفضائلها – لمنيرة الدوسري
[6]- أسماء السور وفضائلها
[7]- التحرير والتنوير لابن عاشور
[8]- فتح القدير للشوكاني
[9]- التحرير والتنوير لابن عاشور

○ الاسم السابع: سورة المقشقشة

وجه التسمية: لأنّها تخلّص مَن آمن بما فيها من النّفاق والشّرك، لما فيها من الدّعاء إلى الإخلاص، ولما فيها من وصف أحوال المنافقين.[1]

○ الاسم الثامن: سورة المنقرة

وجه التسمية: لأنّها نقّرت عمّا في قلوب المشركين من نوايا الغدر بالمسلمين والتمالي على نقض العهد، وهو من نقر الطّائر إذا أنفى بمنقاره موضعًا من الحصى ونحوه ليبيض فيه.[2]

○ الاسم التاسع: سورة المبعثرة

وجه التسمية: لأنّها بعثرت عن أسرار المنافقين، أي أخرجتها من مكانها.[3]

○ الاسم العاشر: سورة المثيرة

وجه التسمية: لأنها أثارت مخازي المنافقين ومثالبهم.[4]

○ الاسم الحادي عشر: سورة الحافرة

وجه التسمية: أنّها حفرت عمّا في قلوب المنافقين من النّفاق، فأظهرته للمسلمين.[5]

○ الاسم الثاني عشر: سورة المعيرة

وجه التسمية: لما كشفت من سرائر الناس.[6]

○ الاسم الثالث عشر: سورة البحوث

وجه التسمية: لما فيها من البحث عن حال المنافقين.[7]

○ الاسم الرابع عشر: سورة المدمدمة

وجه التسمية: من دمدم إذا أهلك، لأنّها كانت سبب هلاك المشركين.[8]

---

[1]- التحرير والتنوير لابن عاشور
[2]- التحرير والتنوير لابن عاشور
[3]- التحرير والتنوير لابن عاشور
[4]- زاد المسير لابن الجوزي
[5]- التحرير والتنوير لابن عاشور
[6]- الدر المنثور للسيوطي
[7]- أنوار التنزيل للبيضاوي
[8]- التحرير والتنوير لابن عاشور

○ الاسم الخامس عشر: سورة المبعثرة

وجه التسمية: لأنّها تشرد بالمنافقين. [1]

🡸 ومن الأسماء المذكورة آنفًا يتجلى أن السورة تركزت على الكلام عن المنافقين وفضح أمرهم وبيان حقيقتهم.

❖ ما ورد في نزولها :

سورة التوبة مكية بالإجماع ،حكى ذلك ابن الجوزي ، والقرطبي ، وابن عاشور.[2]

** وقت نزولها:

وهذه السّورة آخر السّور نزولًا عند الجميع، نزلت بعد سورة الفتح، في قول جابر بن زيدٍ، فهي السّورة الرّابعة عشرة بعد المائة في عداد نزول سورالقرآن. وروي: أنّها نزلت في أوّل شوّالٍ سنة تسعٍ، وقيل آخر ذي القعدة سنة تسعٍ، بعد خروج أبي بكرٍ الصّدّيق من المدينة للحجّة الّتي أمّره عليها النّبي صلّى الله عليه وسلّم وقيل: قبيل خروجه.[3]

❖ عدد آيها

اختلف العلماء في عدد آياتها على ثلاثة أقوال :

- القول الأول: مائة وسبع وعشرون آية
- القول الثاني: مائة وتسع وعشرون آية
- القول الثالث: مائة وثلاثون آية

اختلافهم في ثلاث آيات :

{إنَّ الله بريء من المشركين} عدها البصري ، {إلاَّ تنفروا يعذبكم عذابًا أليمًا} عدها الشامي ، {وعادًا وثمود} وعدها المدنيان والمكي .[4]

سبب عدم ذكر البسملة في أوّل سورة التوبة

قالَ الزَّرْكَشِيُّ (اختلف في السبب في سقوط البسملة أول براءة: فقيل: كان من شأن العرب في الجاهلية إذا كان بينهم وبين قوم عهد وأرادوا نقضه كتبوا لهم كتابا ولم يكتبوا فيه البسملة؛ فلما نزلت براءة بنقض العهد الذي كان للكفار، قرأها عليهم عليٌّ ولم يبسمل على ما جرت به عادتهم، ولكن في "صحيح الحاكم" أن عثمان رضي الله عنه، قال: (كانت الأنفال من أوائل ما نزل، وبراءة من آخره، وكانت قصتها

---

[1]- عمدة القاري للعيني
[2] - يراجع : التحرير والتنوير لابن عاشور، زاد المسير لابن الجوزي ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي
[3]- التحرير والتنوير لابن عاشور
[4] - منار الهدى في الوقف والابتدا للأشموني

شبيها بقصتها، وقضى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يبين لنا أنها منها، وظننا أنها منها، ثم فرقت بينهما، ولم أكتب بينهما البسملة) وعن مالك: أن أولها لما سقط سقطت البسملة.وقد قيل: إنها كانت تعدل البقرة لطولها.

وقيل: لأنه لما كتبوا المصاحف في زمن عثمان، اختلفوا: هل هما سورتان؟ أو الأنفال سورة وبراءة سورة؟ تركت البسملة بينهما.

وفي "مستدرك الحاكم" أيضا، عن ابن عباس: (سألت عليا عن ذلك، فقال: لأن البسملة أمان، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان) قال القشيري: والصحيح، أن البسملة لم تكن فيها؛ لأن جبريل عليه السلام ما نزل بها فيها). [1]

❖ موضوعات السورة الكريمة ومقاصدها

قال أبو الحسن ابن عمر البقاعي: "مقصودها معاداةُ من أعرضَ عما دعت إليه سورة الأنفال، من اتباع الداعي إلى الله في توحيده، واتباع ما يرضيه، وموالاةُ من أقبل عليه. وأدلُ ما فيها على الإبلاغ في هذا المقصد قصةُ المخلفين، فإنهم –لاعترافهم بتخلفهم عن الداعي بغير عذر في غزوة تبوك– هُجِرُوا وأُعْرِضَ عنهم بكل اعتبار حتى بالكلام، فذلك معنى تسميتها بالتوبة. وهو يدل على البراءة لأن البراءة منهم بهجرانهم حتى في رد السلام كان سبب التوبة، فهو من إطلاق المسبب على السبب"[2]

وتتألف السورة من ستة مقاطع:

المقطع الأول/ من الآية 1 إلى الآية 24

وموضوعه نبذ عهود الكفار إليهم، وذمهم لأنهم لا يرقبون في أحد من المؤمنين إلًّا ولا ذمة.

المقطع الثاني/ من الآية 25 إلى الآية 27

وموضوعه غزوة حنين

المقطع الثالث/ من الآية 28 إلى الآية 35

وموضوعه نجاسة المشركين والنهي عن دخولهم البيت الحرام ، والأمر بقتال أهل الكتاب الذين لا يدينون دين الحق لفساد عقيدتهم، حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية

المقطع الرابع/ من الآية 35 إلى الآية 37

وموضوعه تحديد الأشهر الحرم وما فيها من أحكام فقهية

المقطع الخامس / من الآية 38 إلى الآية 127

في تسع وثمانين آية ، ويشغل معظم السورة **وهو المقطع المعني بالدراسة في بحثنا**

قصة غزوة تبوك؛ آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم مع التركيز على تصرفات المنافقين فيها وإجلائها .

---

[1]- البرهان في علوم القرآن للزركشي

[2] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ج 8 صـ 350

المقطع السادس/ الآيتان 128 و129

وموضوعه حكمة بعثته صلى الله عليه وسلام غي العرب وعظيم مكانته فيهم.[1]

❖ مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.[2]

مناسبتها لسورة الأنفال

العلاقة بين سورتي الأنفال والتوبة تلازمية ، وهي أكثر سور القرآن الكريم تشابهًا وتجانسًا

"فالأنفال قد تضمنت الأمر بالقتال (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) وبين أحكام الفرار من الزحف وحكم النسبة المطلوبة فيها بالثبوت ولحوق التأثيم للفار، وأنها على الضعف، وحكم الأسرى، وحكم ولاية المؤمنين ومن يدخل تحت هذه الولاية، ومن يخرج عنها،

ثم ذكر في السورة الأخرى من عهد إليه من المشركين، والبراءة منهم إذا لم يوفوا، وحكم من استجار منهم إلى ما يتعلق بهذا وكله باب واحد، وأحكام متواردة على قضية واحدة وهو تحرير حكم المخالف، فالتحمت السورتان أعظم التحام ثم عاد الكلام إلى حكم المنافقين وهتك أسرارهم."

مناسبتها لسورة يونس

" لما تضمنت سورة براءة قوله تعالى: "إلاتنصروه فقد نصره الله" وقوله: "عفا الله عنك لم أذنت لهم " وقوله: (وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (61) " وقوله (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ...) إلى آخر السورة، إلى ما تخلل أثناء آى هذه السورة الكريمة مما شهد لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – بتخصيصه بمزايا السبق والقرب والاختصاص والملاطفة في الخطاب، ووصفه بالرأفة والرحمة، هذا مع ما انطوت عليه هي والأنفال من قهره أعداءه وتأييده ونصره عليهم وظهور دينه، وعلو دعوته وإعلاء لكلمته إلى غير هذا من نعم الله سبحانه عليه، كان ذلك كله مظنة لتعجب المرتاب وتوقف الشاك، ومثيرا لتحرك ساكن الحسد من العدو العظيم، ما مُنحه عليه السلام قال تعالى في هذه السورة: "أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ (2)

ثم قال تعالى: "إن ربكم الله " الآيات وما بعدها ، فبين انفراده تعالى بالربوبية والخلق والاختراع والتدبير، فكيف تعترض أفعاله أو يطلع البشر على وجه الحكمة في كل ما يفعله ويبديه، وإذا كان الكل ملكه وخلقه فيفعل في ملكه ما يشاء ويحكم في خلقه بما يريد "ذلكم الله ربكم فاعبدوه " "ما خلق الله ذلك إلا بالحق "

---

[1] - التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج 3 ص 194 بتصرف يسير

[2]- ما بين العلامتين (" ") من البرهان في تناسب سور القرآن لابن الزبير

ثم توعد سبحانه الغافلين عن التفكير في عظيم آياته حتى أدتهم الغفلة إلى مرتكب سلفهم في العجب والإنكار حتى قالوا "مال هذا الرسول يأكل الطعام يمشى في الأسواق " "وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا " وهذه مقالات الأمم المتقدمة "قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا"، "ما نراك إلا بشرا مثلنا" (فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا) "مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ" فقال تعالى متوعداً للغافلين: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ.. الآيات " وكل هذا بين الالتحام جليل الالتئام ثم تناسجت آى السورة."

❀ التعريف بالنفاق

❖ تعريف النفاق

○ التعريف لغة

قال أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: "(نَفَقَ) النُّونُ وَالْفَاءُ وَالْقَافُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى انْقِطَاعِ شَيْءٍ وَذَهَابِهِ، وَالْآخَرُ عَلَى إِخْفَاءِ شَيْءٍ وَإِغْمَاضِهِ. وَمَتَى حُصِّلَ الْكَلَامُ فِيهِمَا تَقَارَبَا.

فَالْأَوَّلُ: نَفَقَتِ الدَّابَّةُ نُفُوقًا: مَاتَتْ، وَنَفَقَ السِّعْرُ نَفَاقًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَمْضِي فَلَا يَكْسُدُ وَلَا يَقِفُ. وَأَنْفَقُوا: نَفَقَتْ سُوقُهُمْ. وَالنَّفَقَةُ لِأَنَّهَا تَمْضِي لِوَجْهِهَا. وَنَفَقَ الشَّيْءُ: فَنِيَ يُقَالُ قَدْ نَفِقَتْ نَفَقَةُ الْقَوْمِ.

وَأَنْفَقَ الرَّجُلُ: افْتَقَرَ، أَيْ ذَهَبَ مَا عِنْدَهُ.

قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ. وَفَرَسٌ نَفِقُ الْجَرْيِ، أَيْ سَرِيعُ انْقِطَاعِ الْجَرْيِ.

وَالْأَصْلُ الْآخَرُ النَّفَقُ: سَرَبٌ فِي الْأَرْضِ لَهُ مَخْلَصٌ إِلَى مَكَانٍ. وَالنَّافِقَاءُ: مَوْضِعٌ يُرَقِّقُهُ الْيَرْبُوعُ مِنْ جُحْرِهِ فَإِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ الْقَاصِعَاءِ ضَرَبَ النَّافِقَاءَ بِرَأْسِهِ فَانْتَفَقَ، أَيْ خَرَجَ. **وَمِنْهُ اشْتِقَاقُ النِّفَاقِ، لِأَنَّ صَاحِبَهُ يَكْتُمُ خِلَافَ مَا يُظْهِرُ، فَكَأَنَّ الْإِيمَانَ يَخْرُجُ مِنْهُ، أَوْ يَخْرُجُ هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ فِي خَفَاءٍ**. وَيُمْكِنُ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْبَابِ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْخُرُوجُ. وَالنَّفَقُ: الْمَسْلَكُ النَّافِذُ الَّذِي يُمْكِنُ الْخُرُوجُ مِنْهُ.

أَمَّا نَيْفَقُ السَّرَاوِيلِ فَقَدْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هُوَ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ." [1]

وقال محمد بن حسن بن حسن بن جبل: " (نفق) { وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ } ، (النَفَقُ – محركة : سربٌ في الأرض مشتقٌ إلى موضعٍ آخر ، والنُفَقة –كهُمَزة والنافقاء : جحر الضب واليربوع /موضع يرققه اليربوع من جحره ينفذ منه إذا أتي من قاصعائه)

** المعنى المحوري : إذهاب حشو الشيء المصمت الجوف فيفرغ باطنه مع بقاء ظاهره ملتئمًا : كالنفق الموصوف: {إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ } ومنه" نَفَق الفرس والدابة وسائر البهائم (قعد): مات" (ذهبت قوة الحياة التي تملأ أثناءه)

ومن إذهاب حشو الشيء إلى ذهاب عينه. ومنه "نفقت السلعة (قعد): رغِب فيها (فبيعت كثيرًا وذهبت)، ونفق البيع: راج، وأنفق المالَ: صرفه " (وأذهبه) { لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} ، { أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ}. أصل الفعل للإنفاد، و(من) إذا ذكرت تقصره على بعض المال " ومن الأصل "نفِق ماله ودرهمُه، وطعامه (تعِب): فني وذهب. أنفق الرجل: افتقر (ذهب ماله) وبه يفسر { إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ} والنفقة – محركة : ما ينفق من الدراهم وغيرها، { وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ} .

[1] - مقاييس اللغة لابن فارس ص 1038

ومنه النفاق في الدين : (أن يُظهر الإسلام مع خواء قلبه أو فراغه من الإيمان) { فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ} . ولا معنى لزعم تعريبه ، بل إن نيفق القميص والسراويل (الفراغ المتسع داخلها) مأخوذ من الأصل وليس معربا أيضا كما زعموا. وما في القرآن من التركيب – عدا النفق:السَرَب في بطن الأرض – فإن الفعل (انفق) وما تصرف منه، وكلمة (نفقة)، (نفقات) هي هو بمعنى أخراج مال من الحوزة، والفعل (نافق) وما تصرف منه هو بمعنى إظهار الإسلام مع إبطان الكفر أو ما هو من هذا القبيل .[1]

○ التعريف الشرعي

هو القول باللسان أو الفعل بخلاف ما في القلب من القول والاعتقاد ، أو هو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وإن كان أصله في اللغة معروفاً . **والمنافق لابد وأن تختلف سريرته وعلانيته وظاهره وباطنه**، ولهذا يصفهم الله في كتابه بالكذب كما يصف المؤمنين بالصدق، قال تعالى: وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ [البقرة:10]، وقال: وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ [المنافقون:1]، و قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ} [البقرة:8]، قال الإمام الطبري رحمه الله: أجمع جميع أهل التأويل على أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل النفاق، وأن هذه الصفة صفتهم ، وقد يطلق بعض الفقهاء لفظ الزنديق على المنافق، قال شيخ الإسلام – رحمه الله–: ولما كثرت الأعاجم في المسلمين تكلموا بلفظ (الزنديق) وشاعت في لسان الفقهاء وتكلم الناس في الزنديق: هل تقبل توبته؟ ...والمقصود هنا: أن (الزنديق) في عرف هؤلاء الفقهاء، هو المنافق الذي كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره، سواء أبطن ديناً من الأديان: كدين اليهود والنصارى أو غيرهم، أو كان معطلاً جاحداً للصانع، والمعاد، والأعمال الصالحة...) ، وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله – في كتابه طريق الهجرتين في بيان مراتب المكلفين في الدار الآخرة وطبقاتهم: الطبقة الخامسة عشر: طبقة الزنادقة، وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله، وهؤلاء المنافقون، وهم في الدرك الأسفل من النار .[2]

العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي:

ربما كانت تسمية المنافق في الدين منافقًا تشبيهًا له بما يفعله اليربوع في حيلته هذه التي يستر بها منافذ هربه .[3]

---

[1] - المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم لمحمد جبل ج 4 ص 2306

[2] - نواقض الإيمان الاعتقادية لمحمد الوهيبي ص 308

[3] - ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ لعبد الرحمن حبنّكة الميداني ج 1 ص 53

❖ أسباب ظهور النفاق والمنافقين

بداية ظهوره:

لما انتقل الإسلام من مكة إلى المدينة، وصار له تمكين في الأرض ظهرت طائفة من أعداء الدين لم تكن ظاهرةً من قبل، إذ لا حاجة ولا مبرر لوجودها في وقت الاستضعاف، فلم يكن هنالك منافقون بمكة، بل ظهر النفاق في المدينة ونجم، لأن زعيمهم قد قال لهم : أن هذا أمر قد توجه، يعني أن الإسلام صار له كيان و دولة وجيش وقوة وظهر وقبول عند الأوس والخزرج، ودخل أهل يثرب في دين الله لتكون طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدة الإيمان، وهنا ظهر النفاق لأنه لا يمكن أن يكون هنالك كفار صرحاء في مواجهة المسلمين في المدينة، لأن ذلك كان سيسفك دمائهم، ويعرضهم للقتل، فاضطروا للاستخفاء وإظهار مؤامرتهم وحبكها بعد إخفائها.

ولما كان سلوك الإنسان مظهر من مظاهر دافع نفسي أو أكثر لديه، كان للمنافقين من عصر النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل عصر دوافع تدغعهم ليسلكوا مسالك النفاق، ومنها:

الدافع الأول/ الطمع بالمنافع الدنيوية التي يرجو المنافق تحصيلها بالانتساب إلى المسلمين مع وجود انحرافات خلقية.

الدافع الثاني / الخوف على نفسه أو ماله أو مصالحه الدنيوية إذا أظهر كفره مع وجود انحرافات خلقية.

الدافع الثالث/ ابتغاء الكيد ضد الإسلام وجماعة المسلمين ، عن طريق إعلان دخول الإسلام الإسلام ، ثم العمل على التخريب والهدم من داخل صفوف المسلمين المؤمنين، مع الشعور بالأمن والسلامة وغفلة الرقباء ، وهذا لا يكون إلا من عدو بالغ العداوة أو مستأجر

الدافع الرابع/ التعصب لاسم "الإسلام " الذي ينتسب إليه تبعًا لقومه أو عشيرته وكراهيته إعلان الخروج عليهم ومخالفتهم، وهو في قلبه لا يؤمن بهذا الدين.[1]

❖ دركات النفاق

النفاق كالكفر والشرك والفسق، درجات ومراتب؛ منها ما هو مخرج من الإسلام، ومنها غير مخرج منه:

أولاً: النفاق الأكبر؛ المخرج من الملة، والموجب للخلود في الدرك الأسفل من النار:

هو إبطان الكفر في القلب، وإظهار الإيمان على اللسان والجوارح، ويترتب على هذا النوع ما يترتب على الكفر الأكبر؛ من حيث انتفاء الإيمان عن صاحبه، وخلوده في جهنم؛ لكن المنافق أشد عذاباً من الكافر؛ لأنه في الدرك الأسفل من النار إذا مات عليه.

والمنافق: إذا لم يظهر ما في باطنه من مخالفة الدين، وأظهر الأعمال الظاهرة من الإسلام؛ فهو في الظاهر مسلم، وتجري عليه أحكام الإسلام الظاهرة في الدنيا، ويعامل معاملة المسلمين؛ لأننا لم نؤمر بالشق عن ما في القلوب، وهذا في الأصل خارج عن نطاق وقدرة ابن آدم.

---

[1] - لمراجعة تفاضيل الدوافع ينظر ظاهرة النفاق لعبد الرحمن حبنكة ج 1 صـ 66 و 67

لأن الإيمان الظاهر الذي تجري عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان الباطن الذي يكون صاحبه من المؤمنين حقاً.

والنفاق: إذا أطلق ذكره في القرآن؛ فإن المراد به النفاق الأكبر المنافي للإيمان؛ بخلاف الكفر فإنه يأتي – أحياناً – بمعنى الكفر الأصغر، وكذلك الظلم والفسق والشرك، أما في السنة فقد ورد النفاق الأصغر.

والمنافقون شر وأسوأ أنواع الكفار؛ لأنهم زادوا على كفرهم الكذب والمراوغة والخداع للمؤمنين.

ومن أمثلة هذا النوع الكثيرة: من أظهر الإسلام وهو مكذّب بما جاء به الله، أو بعض ما جاء به الله، أو كذّب الرسول صلى الله عليه وسلم، أو بعض ما جاء به الرسول، وكمثل من لم يعتقد وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم، أو أبغض الرسول صلى الله عليه وسلم، أو آذى الرسول صلى الله عليه وسلم، أو كره الانتصار لدين الرسول صلى الله عليه وسلم أو سُرّ بكسر راية الدين، أو الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين؛ لأجل إيمانهم وطاعتهم لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، أو التولي والإعراض عن الشرع... إلى غير ذلك من الاعتقادات الكفرية المخرجة من الملة.

وهذا الصنف من المنافقين موجودون في كل زمان ومكان.

ثانياً: النفاق الأصغر؛ غير المخرج من الملة:

هو النفاق العملي، واختلاف السر والعلانية في الواجبات، وذلك بعمل شيء من أعمال المنافقين؛ مع بقاء أصل الإيمان في القلب وصاحبه لا يخرج من الملة، ولا يُنفى عنه مطلق الإيمان، ولا مسمى الإسلام، وهو معرّض للعذاب كسائر المعاصي، دون الخلود في النار، وصاحبه ممن تناله شفاعة الشافعين بإذن الله.

وهذا النوع من النفاق مقدمة وطريق للنفاق الأكبر؛ لمن سلكه وكان ديدنه.

وأمثلة ذلك: الكذب في الحديث، وإخلاف الوعد، وخيانة الأمانة، والفجور في الخصومة، والغدر بالعهود، وكالرياء الذي لا يكون في أصل العمل، وإظهار المودة للغير والقيام له بالخدمة مع إضمار عكسه في النفس.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر))البخاري ومسلم.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان) البخاري ومسلم.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار)) البخاري ومسلم.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه؛ مات على شعبة من نفاق)) مسلم .[1]

---

[1] _ الإيمان حقيقته وخوارمه ونواقضه عند أهل السنة والجماعة لعبد الله الأثري صـ 152 بتصرف يسير

سورة التوبة والمنافقون

وكما ذكرنا آنفًا في تقسيم السورة أنها تشتمل في مقطعها الخامس على قصة غزوة تبوك؛ آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم مع التركيز على تصرفات المنافقين فيها وإجلائها في تسع وثمانين آية ، وهي الآيات من الآية 38 إلى الآية 127، ويمكن تقسيمها على النحو التالي:

- ✓ العقد الأول / من 41 إلى 98 : بيان أكبر وقائع المنافقين وغيرهم إبان أحداث غزوة تبوك وتجربتها.
- ✓ العقد الثاني / من 99 إلى 106 : بيان أقسام مجتمع المسلمين يومئذ بعد استعراض أهم الوقائع.
- ✓ العقد الثالث / من 107 إلى 110 : قصة مسجد الضرار
- ✓ العقد الرابع / من 111 إلى 119 : بيانات وتوجهات تتعلق بقضايا ماضية .
- ✓ العقد الخامس / من 120 إلى 123 : تعليمات وتوجيهات حول الخروج للقتال في سبيل الله .
- ✓ العقد السادس / من 124 إلى 127 : بيان موقف المنافقين تجاه ما كان ينزل من القرآن تباعًا في مقابل موقف المؤمنين .[1]

وفي هذا البحث سنسير على التقسيم المذكور في المقدمة من حيث أنواع الصفات؛ عقدية، تعبدية، أخلاقية، قلبية، اجتماعية.

[1]- هذا التقسيم مقتبس من كتاب ظاهرة النفاق لحبنكة بتصرف يسير

الفصل الأول

الصفات العقدية

وفيه ثلاثة مباحث

- المبحث الأول: الريب والشك.
- المبحث الثاني: الاستهزاء بالله وبرسوله وبآياته.
- المبحث الثالث: موالاة الكفار .

المبحث الأول: الريب والشك

❖ المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها

الآية الأولى: {إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (45)}

معنى الآية الكريمة :

يقول الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: إنما يستأذنك يا محمد في التخلف خلافك، وترك الجهاد معك من غير عذر بين الذين لا يصدّقون بالله، ولا يقرّون بتوحيده. { وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ } يقول: وشكت قلوبهم في حقيقة وحدانية الله، وفي ثواب أهل طاعته، وعقابه أهل معاصيه. { فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ } يقول: في شكهم متحيرون، وفي ظلمة الحيرة مترددون، لا يعرفون حقًّا من باطل، فيعملون على بصيرة. وهذه صفة المنافقين."[1]

الآية الثانية: {لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (110)}

معنى الآية الكريمة :

يقول الطبري رحمه الله : "يقول تعالى ذكره: لا يزال بنيان هؤلاء الذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً { رِيبَةً } يقول: لا يزال مسجدهم الذي بنوه ريبة في قلوبهم، يعني شكًّا ونفاقاً في قلوبهم، يحسبون أنهم كانوا في بنائه محسنين. { إلاَّ أنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ } **يعني إلا أن تتصدّع قلوبهم فيموتوا**، والله عليم بما عليه هؤلاء المنافقون الذين بنوا مسجد الضرار من شكهم في دينهم وما قصدوا في بنائهموه وأرادوه وما إليه صائر أمرهم في الآخرة وفي الحياة ما عاشوا، وبغير ذلك من أمرهم وأمر غيرهم، حكيم في تدبيره إياهم وتدبير جميع خلقه."[2]

وقال السعدي: " { لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ } أي: شكاً ورياً ماكثاً في قلوبهم، { إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ } **بأن يندموا غاية الندم ويتوبوا إلى ربهم، ويخافوه غاية الخوف، فبذلك يعفو الله عنهم**، وإلا فبنيانهم لا يزيدهم إلا ريباً إلى ريبهم، ونفاقاً إلى نفاقهم.

{وَٱللَّهُ عَلِيمٌ } بجميع الأشياء، ظاهرها وباطنها، خفيها وجليها، وبما أسره العباد، وأعلنوه.

{حَكِيمٌ } لا يفعل ولا يخلق ولا يأمر ولا ينهى، إلا ما اقتضته الحكمة وأمر به فللّه الحمد."[3]

---

[1]- تفسير الطبري ج 5 صـ 4006 ، 4007

[2] - تفسير الطبري ج 5 صـ 4117

[3]- تفسير السعدي ج 1 ص 883

❖ المطلب الثاني: خطورة الصفة

هذه الصفة من أخطر الصفات على الإطلاق لأنها تزداد يومًا بعد يوم ، ففي الآية الأولى بين الله عزوجل أن السبب في استئذانهم لعدم الخروج للجهاد هو عدم الإيمان بالله واليوم الآخر والريب الكامن في قلوبهم ، وفي الآية الثانية بيان أنهم كلما ازداد نفاقهم كلما ازداد الريب في قلوبهم ، **فهو سبب للنفاق ويزداد بزيادته.**

وهذا الشك ينقض شهادة التوحيد، فإن من شروط صحة شهادة (لا إله إلا الله): اليقين،

قال الحافظ الحكمي: " اليقين المنافي للشك، بأن يكون قائلها مستيقا بمدلول هذه الكلمة يقينا جازما؛ فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك، قال الله عز وجل: {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون} (الحجرات). فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا أي لم يشكوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين والعياذ بالله الذين قال الله تعالى فيهم: {إنما يستأذنكم الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون}. (التوبة). وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة." [1]

❖ المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق

أشد العواقب للريب في القلب في الدنيا ، أنه يشق على صاحبه الرجوع عن النفاق وأنه يزداد يومًا بعد يوم ، قال تعالى: { فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10)} [البقرة : 10]

كذلك لا يعينهم الله على الطاعات ويثبطهم عنها لأنها لا تقبل منهم ، قال تعالى: { وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} .

❖ المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة

ليس كل الشك مؤديًا إلى الخروج من الملة بل بعضه يكون مجرد وسوسة، لكن على المؤمن مدافعة القليل منه حتى لا يصل العبد إلى كثيره والدليل ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، فقال عليه السلام: أوقد وجدتموه؟ قالوا: نعم، قال: "ذاك صريح الإيمان ." فدل هذا الحديث على أن من وجدها وأنكرها لا يخرج من الملة ولا يكفر .

وأما علاجه فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله :"يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته" رواه البخاري ومسلم

---

[1]- معارج القبول بشرح سلم الوصول للحافظ الحكمي

و عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد شيئاً من ذلك فليقل: آمنت بالله" . رواه مسلم.

فيتبين من الحديثين ثلاثة أدوية:

الدواء الأول: الإستعاذة بالله، وهي الإعتصام بالله عزوجل والتوكل عليه حتى يسلم من هذا الشر، والإستعاذة ليس فقط باللسان، بل هي من القلب وهي أن تكون موقنا حتى اليقين أن الله قادر على حمايتك من وسوسات الشيطان.

الدواء الثاني: الإنتهاء، يعني الإعراض عن هذا التفكير وعن هذه الوسوسة .

الدواء الثالث: أن يقول آمنت بالله.

المبحث الثاني: الاستهزاء بالله وبرسوله وبآياته

❖ المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها .

الآية الأولى:{ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (61)}

يقول الشيخ السعدي رحمه الله : " ومن هؤلاء المنافقين { ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ } بالأقوال الردية، والعيب له ولدينه، { وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ } أي: لا يبالون بما يقولون من الأذية للنبي، ويقولون: إذا بلغه عنا بعض ذلك، جئنا نعتذر إليه، فيقبل منا، لأنه أذن، أي: يقبل كل ما يُقال له، لا يميز بين صادق وكاذب، وقصدهم – قبحهم الله – فيما بينهم، أنهم غير مكترثين بذلك، ولا مهتمين به، لأنه إذا لم يبلغه فهذا مطلوبهم، وإن بلغه اكتفوا بمجرد الاعتذار الباطل. فأساؤوا كل الإساءة من أوجه كثيرة، أعظمها أذية نبيهم الذي جاء لهدايتهم، وإخراجهم من الشقاء والهلاك إلى الهدى والسعادة

ومنها: عدم اهتمامهم أيضاً بذلك، وهو قدر زائد على مجرد الأذية.

ومنها: قدحهم في عقل النبي صلى الله عليه وسلم وعدم إدراكه وتفريقه بين الصادق والكاذب، وهو أكمل الخلق عقلاً، وأتمهم إدراكاً، وأثقبهم رأياً وبصيرة، ولهذا قال تعالى: { قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ } أي: يقبل من قال له خيراً وصدقاً. وأما إعراضه وعدم تعنيفه لكثير من المنافقين المعتذرين بالأعذار الكذب، فلسعة خلقه، وعدم اهتمامه بشأنهم، وامتثاله لأمر الله في قوله: {سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞ } [التوبة: 95]. وأما حقيقة ما في قلبه ورأيه، فقال عنه: { يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ } الصادقين المصدقين، ويعلم الصادق من الكاذب، وإن كان كثيراً ما يعرض عن الذين يعرف كذبهم وعدم صدقهم، { وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ } فإنهم به يهتدون، وبأخلاقه يقتدون. وأما غير المؤمنين فإنهم لم يقبلوا هذه الرحمة، بل ردوها، فخسروا دنياهم وآخرتهم، { وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ } بالقول أو الفعل {لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ } في الدنيا والآخرة، ومن العذاب الأليم أنه يتحتم قتل مؤذيه وشاتمه."[1]

قال البقاعي: "يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد، كما سمي الجاسوس عينًا " [2]

الآية الثانية: { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (65)}

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: " وقال تعالى { يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡ } أي تخبرهم وتفضحهم، وتبين أسرارهم، حتى تكون علانية لعباده، ويكونوا عبرة للمعتبرين.{ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ } أي: استمروا على ما أنتم عليه من الاستهزاء والسخرية. {إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ } وقد وفَّى تعالى بوعده، فأنزل هذه السورة التي بينتهم وفضحتهم وهتكت أستارهم. {وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ } عما قالوه من

---

[1]- تفسير السعدي ج1 ص 854، 855

[2] - نظم الدرر ج8 ص 508

الطعن في المسلمين وفي دينهم، يقول طائفة منهم في غزوة تبوك " ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء – يعنون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه – أرغب بطوناً، [وأكذب ألسنا] وأجبن عند اللقاء " ونحو ذلك. ولما بلغهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد علم بكلامهم، جاؤوا يعتذرون إليه ويقولون { إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ } أي نتكلم بكلام لا قصد لنا به، ولا قصدنا الطعن والعيب. قال الله تعالى – مبيناً عدم عذرهم وكذبهم في ذلك: { قُلْ } لهم { أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ } فإن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر مخرج عن الدين لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله، وتعظيم دينه ورسله، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل، ومناقض له أشد المناقضة. ولهذا لما جاؤوا إلى الرسول يعتذرون بهذه المقالة، والرسول لا يزيدهم على قوله: { أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ }. وقوله: { إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ } لتوبتهم واستغفارهم وندمهم، { نُعَذِّبْ طَآئِفَةً } منكم { بِأَنَّهُمْ } بسبب أنهم { كَانُواْ مُجْرِمِينَ } مقيمين على كفرهم ونفاقهم. وفي هذه الآيات دليل على أن من أسر سريرة، خصوصاً السريرة التي يمكر فيها بدينه، ويستهزئ به وبآياته ورسوله، فإن الله تعالى يظهرها ويفضح صاحبها، ويعاقبه أشد العقوبة. وأن من استهزأ بشيء من كتاب الله أو سنّة رسوله الثابتة عنه، أو سخر بذلك، أو تنقصه، أو استهزأ بالرسول أو تنقصه، فإنه كافر بالله العظيم، وأن التوبة مقبولة من كل ذنب وإن كان عظيماً."[1]

❖ المطلب الثاني: خطورة الصفة .

هذا الفعل خطره شديد، إذ أنه يخرج من الملة فقد قال تعالى:{ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}

ولشدة خطورة الأمر اختلف العلماء فيمن استهزأ بشيء من الدين هل تُقبل توبته أم لا ؟

وهذه الصورة ليست بعيدة عنا فلها صور موجودة في زماننا منها

هذا المقالات السيئة والرسوم الساخرة التي تكتب في الجرائد والمجلات والكتب، ويزعمون أنها للتسلية وفيها الكفر والردة عن الدين.

أحدهم رسم ديكًا تتبعه أربع دجاجات يقصد السخرية من تعدد الزوجات

وآخر كتب مقالًا تهجم فيه على الحجاب، وزعم أنه تخلف ورجعية ، بل يتجرأ أحدهم ليطالب بمنع طالبات جامعة معينة من دخول الاختبار بالحجاب

وآخر سول له الشيطان سوء عمله فجعل القرآن شعرًا يتغنى به على أنغام الموسيقى، نسأل الله السلامة والعافية.

وهذا يسخر من سنة اللحية.

وهذا يهزأ بما بينه الله لنا في كتابه العزيز حول خلق آدم ويزعم أن أصل الإنسان قرد .

وهذا يضحكُ ويغمز من يَحْكُمُونَ بشرع الله أو يطالبون بتحكيم شرعه ، ويسميهم بالأصوليين – المتطرفين ، الجامدين – أصحاب القرون الظلامية الضبابية ...

[1] تفيير السعدي ج1 ص 856،857

وهذا يهزأ باللغة العربية ، ويصفها بالجمود والتحجر ، ثم يدعو للعامية أو اللاتينية بديلاً عن لغة القرآن ، ويسخر من الأدب الرفيع لهذه اللغة مطالباً بأدب الفراش والخنا بديلاً من ذلك السمو والعفاف.

وهذا يسخر من إقامة الحدود الشرعية ، ويرى في إقامتها بشاعة وفظاعة . ثم يدعو للبديل ، وهو أن يتحول المجتمع إلى عصابات وقطاع طريق بإسم الحضارة وحرية الإنسان.

بل وصل الحال إلى أن بعض المحسوبين على الدعوة والثقافة الإسلامية يهزأ ويغمز ليلاً ونهاراً بالمتمسكين بِسُنَّةِ سيد المرسلين ، ويصفهم بأصحاب العقول المريضة والعَتَهِ والسَّفَه ، بل وسخر من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابتة في الصحيحين ، مثل حادثة شق صدره صلى الله عليه وسلم وهو صغير في بني سعد ، واستخراج جبريل – عليه السلام – لعلقة الشيطان من قلبه ، وحشوه إيماناً وكل ذلك ثابت في الصحيح على أمر وهيئة لا يستطيع العقل البشري إدراكها لقصوره وضعفه ، فيقوم هذا الساخر بإنكار هذا قائلاً : أنا رجل عقلي لا أؤمن إلا بما يصدقه عقلي ، وهل الإيمان سائل حتى نصبه في قوارير !!! .

❖ المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق.

* القتل لفاعله : قال شيخ الإسلام –رحمه الله–: (إن الساب إن كان مسلماً فإنه يكفر ويقتل بغير خلاف)[1]
* الذل في الدنيا لأنه وقعوا في محادة الله ورسوله ، وقد قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ} [الحشر: 20]
* قطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين ، لقوله تعالى:{ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}[الحشر: 22]

❖ المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة .

من العلاجات النافعة لهذا الداء العضال :

* محبة أهل الخير والصلاح ومعرفة قدرهم
* معرفة قدر الكلمة وأنها ترفع المرء أو تضعه
* عدم التقليد الأعمى لأعداء الدين
* مقاطعة كل من يقوم بالاستهزاء لردعه

[1] - الصارم المسلول [16/2]

❁ المبحث الثالث: موالاة الكفار

❖ المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها.

{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (107)}

معنى الآية الكريمة:

يقول الشيخ السعدي رحمه الله : "كان أناس من المنافقين من أهل قباء اتخذوا مسجداً إلى جنب مسجد قباء، يريدون به المضارة والمشاقة بين المؤمنين، ويعدونه لمن يرجونه من المحاربين لله ورسوله، يكون لهم حصناً عند الاحتياج إليه، فبين تعالى خزيهم، وأظهر سرهم فقال: { وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً } أي: مضارة للمؤمنين ولمسجدهم الذي يجتمعون فيه { وَكُفْراً } أي: قصدهم فيه الكفر، إذا قصد غيرهم {وَتَفْرِيقاً بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ } أي: ليتشعبوا ويتفرقوا ويختلفوا، { وَإِرْصَاداً } أي: إعداداً { لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ } أي: إعانة .الإيمان للمحاربين لله ورسوله، الذين تقدم حرابهم واشتدت عداوتهم، وذلك كأبي عامر الراهب، الذي كان من أهل المدينة، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم وهاجر إلى المدينة، كفر به، وكان متعبداً في الجاهلية، فذهب إلى المشركين يستعين بهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما لم يدرك مطلوبه عندهم ذهب إلى قيصر بزعمه أنه ينصره، فهلك اللعين في الطريق، وكان على وعد ومالأة، هو والمنافقون.

فكان مما أعدوا له مسجد الضرار، فنزل الوحي بذلك، فبعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم من يهدمه ويحرقه، فهدم وحرق، وصار بعد ذلك مزبلة .

قال تعالى بعدما بين من مقاصدهم الفاسدة في ذلك المسجد { وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا } في بنائنا إياه { إِلاَّ ٱلْحُسْنَىٰ } أي: الإحسان إلى الضعيف، والعاجز والضرير.{ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } فشهادة الله عليهم أصدق من حلفهم".[1]

فيتبين أن عناصر الكيد التي اشتمل عليها مسجد الضرار بجوار مسجد قباء أربعة عناصر :

العنصر الأول / كونه ضرارًا، أي قصد المنافقون من إنشائه مضارة المسلمين المؤمنين ، والمضارّة هي المخالفة وإنزال الضرر.

العنصر الثاني / كونه كفرًا ، أي أنشأه المنافقون بباعث الكفر الذي يكنونه في صدورهم ، وليكون قاعدة نشر الكفر، وانطلاق الأعمال الكافرة المحاربة للإيمان والمؤمنين.

العنصر الثالث / كونه تفريقًا بين المؤمنين ، أي أنشأه المنافقون لاستدراج بعض المؤمنين إليه ، بغية ضمهم مستقبلًا إلى صفوفهم.

العنصر الرابع / **إرصادًا لمن حارب الله ورسوله من قبل، وهي صورة موالاة الكفار المرادة بكلامنا هنا .**

[1]- السعدي ج 1 ص 881،882

❖ المطلب الثاني: خطورة الصفة.

إن موالاة الكافرين أمر خطير أيما خطورة ، فهو ينتزع الإيمان من صاحبه انتزاعًا ، قال تعالى: { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [الحشر : 22] فبين الله عز وجل أنه لا يجتمع إيمان وموالاة لهم في قلب المؤمن أبدًا ، وقال تعالى: { وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة :51]

وقد يظن البعض أن هذا الأمر عنا بعيد أو أنه لابد يكون بالصورة المذكورة في الآية الكريمة ،إلا أنه قريب جدا منا ومن شبابنا وبناتنا عياذًا بالله في زماننا هذا ،ولها ثلاثة أصول : المحبة والنصرة والاتباع ، ومن صوره:

** الاحتفال بأعياد المشركين وتسميتها أعيادًا؛ كعيد الحُب، وعيد شَمّ النسيم، وعيد رأس السَّنة الميلاديَّة، ومُشاركة المشركين في ذلك، والفرَح بها أكثر منَ الفَرَح بأعياد المسلمين، وربما رفع بعضُهم شعارات عليها فينوس، ويقولون: (فينوس إله الحبِّ)، تعالى الله عما يقولون عُلُوًّا كبيرًا.

** حب الهجرة إليهم، والاعتزاز بالتجنس بجنسيتهم، والافتخار بذلك، وفي الحديث: ((لا تُساكنوا المشركين، ولا تجامعوهم؛ فمن ساكنهم أو جامعهم، فليس منَّا))

** السخرية من اللغة العربية لُغة القرآن، ومحبة لغة الأعاجم، والتحَدُّث بها، والافتخار بذلك، وتقديم مَن يجيدها وإن كان عدوًّا لله ورسوله.

** دعوى تقديم الواجب الوَطَني على الواجب الدِّيني، فإذا تعارَض عندهم الدِّين والوطنية، قدم ما فيه مصلحة للوطن – في ظنِّهم – حتى لو كان فيه مُحاداة لله ورسوله، ومُحاربة لدِينه وأوليائِه.

** الاستعانة بهم والثقة بهم وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين ، واتخاذهم بطانة ومستشارين والله تعالى يقول: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآَيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (118)} [آل عمران: 118]

** مدحهم والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة ، والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم ، دون نظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد .

** الاستغفار لهم والترحم عليهم بحجة أنهم قد قدموا كثيرًا للناس وكانوا أهل خير والله تعالى يقول: { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (113)} [التوبة: 113]

❖ المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق.

يعاقب الموالي للكفار بنقيض قصده فإن الجزاء من جنس العمل ، فإنه يعيش ذليلًا لأنه ابتغى العزة من معرفتهم ، مفضوحًا خائفًا لأنه أراد الأمان ، يبغضه المؤمنون ويبغضه الكافرون .

❖ المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة .

الآية الكريمة في سورة الحشر نبين بوضوح أن السبب فب موالاة الكفار هو عدم الإيمان أو نقصانه ، وكأن العلاقة عكسية بينهما ، فمن أراد التخلص من موالاة الكفار فعليه أن يبد إيمانه بالله واليوم الآخر .

كذلك عليه أن يعتز بالله وحده ويبتغي العزة من عند الله لا غيره .

كذلك محبة المؤمنين والتذلل لهم في مقابل الشدة على الكفار.

الفصل الثاني

الصفات التعبدية

وفيه خمسة مباحث

- المبحث الأول: الكسل في الصلاة.
- المبحث الثاني: كراهية الإنفاق في سبيل الله والبخل .
- المبحث الثالث: التثاقل عن الجهاد.
- المبحث الرابع : اختلاق الأعذار لترك الطاعات .
- المبحث الخامس: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف .

۞ المبحث الأول: الكسل في الصلاة

❖ المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها.

{وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (54)}

معنى الآية الكريمة :

يقول الإمام الطبري رحمه الله :" يقول تعالى ذكره: وما منع هؤلاء المنافقين يا محمد أن تقبل منهم نفقاتهم التي ينفقونها في سفرهم معك وفي غير ذلك من السبل { إلا أَنَّهُمْ كَفَرُوا باللَّهِ وَبِرَسُولِهِ } فإنّ الأولى في موضع نصب، والثانية في موضع رفع، لأن معنى الكلام: ما منع قبول نفقاتهم إلا كفرهم بالله. **{ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إلاَّ وَهُمْ كُسَالَى } يقول: لا يأتونها إلا متثاقلين بها، لأنهم لا يرجون بأدائها ثواباً ولا يخافون بتركها عقاباً، وإنما يقيمونها مخافة على أنفسهم بتركها من المؤمنين فإذا أمنوهم لم يقيموها.** { وَلاَ يُنْفِقُونَ } يقول: ولا ينفقون من أموالهم شيئاً، { إلاَّ وَهُمْ كارِهُونَ } أن ينفقونه في الوجه الذي ينفقونه فيه مما فيه تقوية للإسلام وأهله."[1]

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله:" وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِ } والأعمال كلها شرط قبولها الإيمان، فهؤلاء لا إيمان لهم ولا عمل صالح، حتى إن الصلاة التي هي أفضل أعمال البدن، إذا قاموا إليها قاموا كسالى، قال: { وَلاَ يَأْتُونَ ٱلصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ } أي: متثاقلون، لا يكادون يفعلونها من ثقلها عليهم { وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ } من غير انشراح صدر وثبات نفس، **ففي هذا غاية الذم لمن فعل مثل فعلهم، وأنه ينبغي للعبد أن لا يأتي الصلاة إلا وهو نشيط البدن والقلب إليها، ولا ينفق إلا وهو منشرح الصدر ثابت القلب، يرجو ذخرها وثوابها من الله وحده، ولا يتشبه بالمنافقين".** [2]

❖ المطلب الثاني: خطورة الصفة.

الصلاة في الإسلام لها شأن عظيم، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام ، وهي عماد الدين وقرة عين المؤمنين ،ولكن المنافقون يزهدون في كل ما فيها من خير وبر، وإذا قاموا إليها قاموا إخفاء لنفاقهم، فهي صلاة خالية من مناجاة الرب، ولا تحمل غير صورتها الشكلية الفارغة من الصدق والخضوع والحياة .

ومما يندى له الجبين ما وقع فيه كثير من المسلمين من تفريط في آداء الصلاة وتضييع لحقها ، وتأخير لوقتها، وتهاون في آدائها جماعة مع المسلمين ، ولا يلقون لذلك بالًا ولا يعدونه خصلة من خصال النفاق ، مع أن صور تفريط المنافق في الصلاة متعددة وكلها حاصلة في زماننا ممن ينتسب لأهل الإسلام وهي:

---

[1]- الطبري ج 8 ص 4016

[2]- السعدي ج 1 ص 851

** التخلف عن أدائها في جماعة المسلمين قال ابن مسعود رضي الله عنه : " لقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق قد عُلِم نفاقه"

** إتيانها مع التكاسل والتهاون ، كما في آيتنا

** الرياء فيها والتزين للناس بها كما قال تعالى : {يُرَاءُونَ النَّاسَ }

** عدم استحضار الوقوف بين يدي الله تعالى والخشوع فيها كما قال تعالى: { وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا}

** تأخيرها عن وقتها قال صلى الله عليه وسلم : " تلك صلاة المنافق يجلس أحدهم يتحدث حتى إذا اصفرت الشمس وكان بين قرني الشيطان قام فينقرها أربعًا لا يذكر الله فيها إلا قليلًا."

وكل هذه الصور موجودة في زماننا وبين أمتنا ولا حول ولا قوة إلا بالله .

❖ المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق.

من أشد العواقب للتفريط في الصلاة في الدنيا الشهود لفاعله بالنفاق ، وكذلك لا تقبل منه سائر الأعمال.

❖ المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة .

* ترك المعاصي والذنوب التي تصد عن ذكر الله وعن الصلاة.
* عدم الانشغال المفرط بالدنيا .
* تعلم أهمية الصلاة .
* اعتناء الأبوين بتربية الأبناء على الاهتمام بالصلاة .

۞ المبحث الثاني: كراهية الإنفاق في سبيل الله والبخل

❖ المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها.

الآية الأولى: {وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (54)}

معنى الآية الكريمة :

سبق الكلام عنه في صفة [الكسل في الصلاة] والشاهد هنا :قول الطبري: **"{ وَلاَ يُنْفِقُونَ } يقول: ولا ينفقون من أموالهم شيئاً، { إلاَّ وَهُمْ كارِهُونَ } أن ينفقونه في الوجه الذي ينفقونه فيه مما فيه تقوية للإسلام وأهله."** ، وقول السعدي: **"{ وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ} من غير انشراح صدر وثبات نفس "**.

الآية الثانية: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (67)}

معنى الآية الكريمة:

يقول الطبري رحمه الله : "يقول تعالى ذكره: { المنافِقُونَ وَالمنافِقاتُ } وهم الذين يظهرون للمؤمنين الإيمان بألسنتهم ويسرّون الكفر بالله ورسوله { بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ } يقول: هم صنف واحد، وأمرهم واحد، في إعلانهم الإيمان واستبطانهم الكفر، يأمرون من قبل منهم بالمنكر، وهو الكفر بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به وتكذيبه. { ويَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ } يقول: وينهونهم عن الإيمان بالله ورسوله وبما جاءهم به من عند الله. وقوله: **{ وَيَقْبِضُونَ أيْدِيهُمْ } يقول: ويمسكون أيديهم عن النفقة في سبيل الله ويكّفونها عن الصدقة، فيمنعون الذين فرض الله لهم في أموالهم ما فرض من الزكاة حقوقهم.**

وأما قوله: { نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ } فإن معناه: تركوا الله أن يطيعوه ويتبعوا أمره، فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته

قوله: { إنَّ المنافِقِينَ هُمُ الفاسِقُونَ } يقول: إن الذين يخادعون المؤمنين بإظهارهم لهم بألسنتهم الإيمان بالله، وهم للكفر مستبطنون، هم المفارقون طاعة الله الخارجون عن الإيمان به وبرسوله."[1]

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: "يقول تعالى: { ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّن بَعْضٍ } لأنهم اشتركوا في النفاق، فاشتركوا في تولي بعضهم بعضاً، وفي هذا قطع للمؤمنين من ولايتهم ، ثم ذكر وصف المنافقين العام، الذي لا يخرج منه صغير منهم ولا كبير، فقال: { يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ } وهو الكفر والفسوق والعصيان{وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ } وهو الإيمان، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة، والآداب

[1] - الطبري ج 8 ص 4040،4041

الحسنة. **{ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ } عن الصدقة وطرق الإحسان، فوصفهم البخل.** {نَسُواْ ٱللَّهَ } فلا يذكرونه إلا قليلاً، { فَنَسِيَهُمْ } من رحمته، فلا يوفقهم لخير، ولا يدخلهم الجنة، بل يتركهم في الدرك الأسفل من النار، خالدين فيها مخلدين.

{ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } حصر الفسق فيهم، لأن فسقهم أعظم من فسق غيرهم، بدليل أن عذابهم أشد من عذاب غيرهم، وأن المؤمنين قد ابتلوا بهم، إذ كانوا بين أظهرهم، والاحتراز منهم شديد".[1]

الآية الثالثة: {وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (75) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ(76)}

معنى الآية الكريمة :

نتكلم عنها بالتفصيل في صفة خلف الوعد بإذن الله إلا أن الشاهد هنا :قول الطبري رحمه الله :" **{ فلما آتاهم } الله { من فَضْلِه بخلوا به} بفضل الله الذي آتاهم، فلم يصَّدقوا منه، ولم يصلوا منه بقرابة، ولم ينفقوا في حق الله.**"[2]

الآية الرابعة: {وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (98)}

معنى الآية الكريمة:

يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: " **فمنهم { مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ } من الزكاة والنفقة في سبيل الله وغير ذلك، { مَغْرَماً } أي: يراها خسارة ونقصاً، لا يحتسب فيها، ولا يريد بها وجه الله، ولا يكاد يؤديها إلا كرهاً.**{وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَائِرَ } أي: من عداوتهم للمؤمنين وبغضهم لهم، أنهم يودون وينتظرون فيهم دوائر الدهر، وفجائع الزمان، وهذا سينعكس عليهم، فعليهم دائرة السوء.وأما المؤمنون فلهم الدائرة الحسنة على أعدائهم، ولهم العقبى الحسنة، {وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } يعلم نيات العباد، وما صدرت عنه الأعمال من إخلاص وغيره." [3]

❖ المطلب الثاني: خطورة الصفة.

البخل من أبرز صفات المنافقين ، وهو **نتيجة للنفاق** كما في قوله تعالى: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (67)} **وسبب له** كما في قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (75) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ(76)} وهذا يبين لنا أن النفاق لا يتمو إلا في أرض خبيثة ولعل أكثر ما يبين خطورته أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ منه فيقول: " اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل، والجبن والبخل".

---

[1]- السعدي ج 1 ص 858
[2]- الطبري ج 8 ص 4055
[3]- السعدي ج 1 ص 875

إن النفس البشرية ضعيفة شحيحة إلا من عصم الله، ولا تطهر من هذا إلا إذا امتلأت بالإيمان ، وارتفعت عن خبائث الأرض ، وانطلقت من قيود الحرص ، فأصبحت أملها الخلف الأعظم ورضوان الله ، ولا يخشى الفقر.

أما إذا خلا القلب من الإيمان الصحيح فإن فطرته التي جُبِلت على الشح تهيج والخوف من الفقر يقبض على يده فلا تنفق .

وإذا أخرج العبد النفق وهو لها كاره لن تقبل منه كما قال تعالى: {{وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (54)}

❖ المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق.

* الحرمان من الأجر المترتب على الإنفاق في أبواب الخير.
* سبب في ضعف الإيمان واضمحلاله؛ لما فيه من سوء الظنِّ بالله.
* كراهية الناس له، فهو مبغوض مكروه حتى من أقرب الناس إليه كزوجته وأبنائه وأقربائه، بل قد يصل بهم الحد إلى أن يدعوا عليه، ويتمنوا موته؛ حتى يستطيعوا التنعم بما حرمهم منه من أموال.
* سبب لحرمان الرزق، فكما أن الإنفاق سبب في زيادة الرزق وسعته، فإنَّ البخل والشح سبب في تضييقه.
* الوقوع في الإثم بسبب منعه لما يجب عليه من حقوق وواجبات.
* حرمان البخيل الشحيح لنفسه ولغيره من لذائذ الدُّنيا المباحة.
* ومن ضررها في الدنيا تعريض مال الغني للضياع والنهب والسرقة والأحقاد.
* سبب لكشف عيوب المرء، وإظهارها للخلق.

قال شمس الدين السفيري: والسخاء والكرم سبب لستر العيوب، والبخل والشح سبب جالب لكشفها

* الحرص على ملازمة الأسواق لجمع المال، والأسواق هي معشش الشياطين
* البخل صنو لعدد من الأخلاق السيئة التي يجر بعضها بعضًا، كالجهل والحسد وسوء الظنِّ بالله وغيرها من الأخلاق الرديئة، (ولهذا قيل في حدِّ البخل: جهل مقرون بسوء الظن)
* والبخل صفة غير لائقة بأهل الإسلام، بل هي سجية عرف بها اليهود قديمًا وحديثًا، قال الشوكاني: (البخل قد لزم اليهود لزوم الظلِّ للشمس، فلا ترى يهوديًّا، وإن كان ماله في غاية الكثرة، إلا وهو من أبخل خلق الله)
* البخل محو صفات الإنسانية، وإثبات عادات الحيوانية.
* إفساد العلاقات بين الناس وإعاقة الصلح بينهم:

قال تعالى: {وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } [النساء: 128]

قال السعدي: (اعلم أنَّ كلَّ حكم من الأحكام لا يتمُّ ولا يكمل إلا بوجود مقتضيه وانتفاء موانعه، فمن ذلك هذا الحكم الكبير الذي هو الصلح، فذكر تعالى المقتضي لذلك ونبَّه على أنَّه خير، والخير كلُّ عاقل يطلبه ويرغب فيه، فإن كان –مع ذلك– قد أمر الله به وحثَّ عليه ازداد المؤمن طلبًا له ورغبة فيه.وذكر المانع بقوله:{ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ } أي: جُبلت النفوس على الشحِّ، وهو: عدم الرغبة في بذل ما على الإنسان، والحرص على الحقِّ الذي له، فالنفوس مجبولة على ذلك طبعًا، أي: فينبغي لكم أن تحرصوا على قلع هذا الخلق الدنيء من نفوسكم، وتستبدلوا به ضدَّه وهو السماحة، وهو بذل الحقِّ الذي عليك؛ والاقتناع ببعض الحقِّ الذي لك. فمتى وُفِّق الإنسان لهذا الخلق الحسن سهل حينئذ عليه الصلح بينه وبين خصمه ومعامله، وتسهلت الطريق للوصول إلى المطلوب. بخلاف من لم يجتهد في إزالة الشح من نفسه، فإنَّه يعسر عليه الصلح والموافقة؛ لأنَّه لا يرضيه إلا جميع ماله، ولا يرضى أن يؤدِّي ما عليه، فإن كان خصمه مثله اشتدَّ الأمر)

❖ المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة .

* أن يحسن المرء الظنَّ بالله عزَّ وجلَّ، وليعلم أنَّ الله الذي أمره بالإنفاق قد تكفَّل له بالزيادة. وقد قيل: (قلة الجود سوء ظنٍّ بالمعبود)
* الإكثار من الصدقة، وإن كان ذلك ثقيلًا على من اتصف بهذه الصفة، وبذلك يعتاد على صفة الكرم والإنفاق، قال ابن القيم: (فالفقير الآخذ لصدقتك يستخرج منك داء البخل، كالحجام يستخرج منك الدم المهلك)
* معرفة أن الإيحاء بالفقر والتخويف منه إنما هو وعد شيطاني، وأن وعد الله هو المغفرة للذنوب وزيادة الفضل، يقول الله تعالى:{ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }[البقرة: 268]
* الاستعاذة بالله من البخل، كما كان يفعل أكرم الخلق وأجودهم صلى الله عليه وسلم، حيث كان يستعيذ من البخل فيقول: ((اللهمَّ إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أُردَّ إلى أرذل العمر))
* معالجة طول الأمل بالإكثار من ذكر الموت، والنظر في موت الأقران.
* التأمُّل في حال البخلاء الذين تعبوا في جمع المال، والحرص عليه ثم تركهم له يتقاسمه الورثة، وربما استخدموه في غير طاعة الله، فكان وبالًا عليهم.
* التأمل في الآيات الواردة في ذمِّ البخل، وما أعده الله للمتصفين بهذه الصفة القبيحة .
* صرف القلب إلى عبادة المولى تبارك وتعالى، حتى لا ينشغل بعبادة المال والحرص عليه.
* معرفة أن المستقبل بيد الله إن شاء أغناك، وإن شاء أفقرك، وإن كنت أحرص الناس.
* عدم الخوف على مستقبل الأبناء، والتيقن أنَّ من خلقهم قد خلق أرزاقهم معهم، ولن يضيعهم. علاج القلب بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذمِّ البخل، ومدح السخاء وما توعد الله به البخيل من العقاب العظيم.
* التأمل في أحوال البخلاء، ونفرة الطبع منهم، وبغض الناس لهم، وبقاء الذكر السيئ من بعدهم.

۞ المبحث الثالث: التثاقل عن الجهاد

❖ المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها .

الآية الأولى: {لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (42)}

معنى الآية الكريمة :

يقول السعدي رحمه الله: "لو كان خروجهم لطلب العرض القريب، أي: منفعة دنيوية سهلة التناول { وَ } كان السفر { سَفَراً قَاصِداً } أي: قريباً سهلاً { لَّاتَّبَعُوكَ } لعدم المشقة الكثيرة، { وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ } أي: طالت عليهم المسافة، وصعب عليهم السفر، فلذلك تثاقلوا عنك، وليس هذا من أمارات العبودية، بل العبد حقيقة هو المتعبد لربه في كل حال، القائم بالعبادة السهلة والشاقة، فهذا العبد لله على كل حال.{وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ } أي: سيحلفون أن تخلفهم عن الخروج، أن لهم أعذراً، وأنهم لا يستطيعون ذلك{ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ } بالقعود والكذب والإخبار بغير الواقع، { وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ }"[1].

الآية الثانية: { وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (46)}

معنى الآية الكريمة:

بقول الشيخ السعدي رحمه الله :"يقول تعالى مبيناً أن المتخلفين من المنافقين قد ظهر منهم من القرائن ما يبين أنهم ما قصدوا الخروج للجهاد بالكلية، وأن أعذارهم التي اعتذروها باطلة، فإن العذر هو المانع الذي يمنع إذا بذل العبد وسعه، وسعى في أسباب الخروج، ثم منعه مانع شرعي، فهذا الذي يعذر.

أما هؤلاء المنافقون فـ { لَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً } أي: لاستعدوا وعملوا ما يمكنهم من الأسباب، ولكن لما لم يعدوا له عدة، علم أنهم ما أرادوا الخروج، { وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنبِعَاثَهُمْ } معكم في الخروج للغزو { فَثَبَّطَهُمْ } قدراً وقضاء، وإن كان قد أمرهم وحثهم على الخروج، وجعلهم مقتدرين عليه، ولكن بحكمته ما أراد إعانتهم، بل خذلهم وثبطهم { وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَاعِدِينَ} من النساء والمعذورين." [2]

❖ المطلب الثاني: خطورة الصفة .

هذه الصفة جعلها النبي صلى الله عليه وسلم علامة صريحة على النفاق ، وهي صفى لها خطورة على الفرد من حيث إيمانه ، **كما لها خطورة على الأمة كافة من حيث أنها تكون فريسة للأعداء** ، لذلك مكان من أكثر ما حرص عليه العدو أن ينشر النفرة من الجهاد بذمه وجعله دموية وهو على الخقيقة إعلاء لكلمة الله وهو ذروة سنام الإسلام.

---

[1]- السعدي ج1 ص 845، 846

[2]- السعدي ج 1 ص 847

❖ المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق.

* ترك الجهاد سبب للهلاك في الدنيا والآخرة

أما في الدنيا فإن الجبان الرعديد يكون ذليلاً مستعبداً تابعا غير متبوع . وأما في الآخرة فترك الجهاد سبب لعذاب الله تعالى.

* ترك الجهاد سبب للذل والهوان

عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلا لا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلا لا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلا لا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ) . صححه الألباني في صحيح أبي داود.

ولقد صدق رسولنا صلى الله عليه وسلم ، فإن الناظر إلى أحوال المسلمين اليوم يرى أنهم قد فرطوا في دينهم تفريطا عظيما . . فأكلوا الربا ، وركنوا إلى الدنيا ، وتركوا الجهاد في سبيل الله . فماذا كانت النتيجة ؟!! ألزمهم الله الذل في أعناقهم ، فهم يلجأون إلى الشرق أو الغرب خاضعين ذليلين يطلبون منهم النصر على الأعداء ، وما عرف أولئك أن الذل لا يرفع عنهم حتى يرجعوا إلى دينهم كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

* وترك الجهاد سبب لنزول العذاب في الدنيا والآخرة.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَنْ لَمْ يَغْزُ ، أَوْ يُجَهِّزْ غَازِيًا ، أَوْ يَخْلُفْ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ ، أَصَابَهُ اللَّهُ بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) . حسنه الألباني في صحيح أبي داود. والقارعة هي الدَاهِيَة المهْلِكَة التي تأتي فجأة , يقال : قَرَعَهُ أَمْرٌ إِذَا أَتَاهُ فَجْأَة.

❖ المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة .

* قراءة معنى الجهاد وفضله وأثره في التاريخ
* قراءة حرص الصحابة والسلف على الجهاد
* انتواءه وإن عجزت الأيدي عنه الآن ليكتب الأجر وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه؛ مات على شعبة من نفاق)) مسلم

۞ المبحث الرابع : اختلاق الأعذار لترك الطاعات

❖ المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها .

الآية الأولى: {لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (42) عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (43) لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (44) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (45)}

معنى الآيات الكريمة :

يقول الطبري رحمه الله: " يقول جلّ ثناؤه للنبي صلى الله عليه وسلم، وكانت جماعة من أصحابه قد استأذنوه في التخلف عنه حين خرج إلى تبوك فأذن لهم: لو كان ما تدعو إليه المتخلفين عنك والمستأذنيك في ترك الخروج معك إلى مغزاك الذي استنفرتهم إليه، { عَرَضاً قَرِيباً } يقول: غنيمة حاضرة، { وسَفَراً قاصِداً } ، يقول: وموضعاً قريباً سهلاً، { لاتَّبعوكَ } ونفروا معك إليهما ولكنك استنفرتهم إلى موضع بعيد، وكلفتهم سفراً شاقًّا عليهم، لأنك استنهضتهم في وقت الحرّ وزمان القيظ وحين الحاجة إلى الكنّ. { وسَيَحْلِفُونَ باللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ } يقول تعالى ذكره: **وسيحلف لك يا محمد هؤلاء المستأذنوك في ترك الخروج معك اعتذارا منهم إليك بالباطل، لتقبل منهم عذرهم، وتأذن لهم في التخلف عنك بالله كاذبين: لو استطعنا لخرجنا معكم يقول: لو أطقنا الخروج معكم بوجود السعة والمراكب والظهور وما لا بدّ للمسافر والغازي منه، وصحة البدن والقوى، لخرجنا معكم إلى عدوّكم. { يُهْلِكُونَ أنْفُسَهُمْ } يقول: يوجبون لأنفسهم بحلفهم بالله كاذبين الهلاك والعطب، لأنهم يورثونها سخط الله ويكسبونها أليم عقابه. { وَاللَّهُ يَعْلَمُ إنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } في حلفهم باللَّهِ لو استطعنا لخرجنا معكم لأنهم كانوا للخروج مطيقين بوجود السبيل إلى ذلك بالذي كان عندهم من الأموال مما يحتاج إليه الغازي في غزوه والمسافر في سفره وصحة الأبدان وقوى الأجسام.** { عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (43)} وهذا عتاب من الله تعالى ذكره عاتب به نبيه صلى الله عليه وسلم في إذنه لمن أذن له في التخلف عنه حين شخص إلى تبوك لغزو الروم من المنافقين. يقول جلّ ثناؤه: { عَفَا اللَّهُ عَنْكَ } يا محمد ما كان منك في إذنك لهؤلاء المنافقين الذي استأذنوك في ترك الخروج معك، وفي التخلف عنك من قبل أن تعلم صدقه من كذبه. { لِمَ أذِنْتَ لَهُمْ } لأيّ شيء أذنت لهم، { حتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وتَعْلَمَ الكاذِبِينَ } يقول: ما كان ينبغي لك أن تأذن لهم في التخلف عنك، إذ قالوا لك: لو استطعنا لخرجنا معك، حتى تعرف من له العذر منهم في تخلفه ومن لا عذر له منهم، فيكون إذنك لمن أذنت له منهم على علم منك بعذره، وتعلم من الكاذب منهم المتخلف نفاقاً وشكًّا في دين الله. { لاَ يَسْتَأْذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلْمُتَّقِينَ}

وهذا إعلام من الله نبيه صلى الله عليه وسلم سِيما المنافقين أن من علاماتهم التي يعرفون بها تخلفهم عن الجهاد في سبيل الله باستئذانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تركهم الخروج معه إذا استنفروا بالمعاذير الكاذبة. يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا محمد لا تأذنّ في التخلف عنك إذا خرجت لغزو عدوّك لمن استأذنك في التخلف من غير عذر، فإنه لا يستأذنك في ذلك إلا منافق لا يؤمن بالله واليوم الآخر، فأما الذي يصدّق بالله ويقرّ بوحدانيته وبالبعث والدار الآخرة والثواب والعقاب، فإنه لا يستأذنك في ترك الغزو وجهاد أعداء الله بماله ونفسه. { وَاللَّهُ عَلِيمٌ بالمتَّقِينَ } يقول: والله ذو علم بمن خافه فاتقاه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه والمسارعة إلى طاعته في غزو عدوّه وجهادهم بماله ونفسه، وغير ذلك من أمره ونهيه. { إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ} يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: إنما يستأذنك يا محمد في التخلف خلافك، وترك الجهاد معك من غير عذر بين الذين لا يصدّقون بالله، ولا يقرّون بتوحيده. { وَارْتابَتْ قُلُوبُهُمْ } يقول: وشكت قلوبهم في حقيقة وحدانية الله، وفي ثواب أهل طاعته، وعقابه أهل معاصيه. { فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتردَّدوَن } يقول: في شكهم متحيرون، وفي ظلمة الحيرة مترددون، لا يعرفون حقًّا من باطل، فيعملون على بصيرة. وهذه صفة المنافقين." [1]

الآية الثانية: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (49)}

معنى الآية الكريمة :

يقول الشيخ السعدي رحمه الله : " ومن هؤلاء المنافقين من يستأذن في التخلف، ويعتذر بعذر آخر عجيب، فيقول: { ٱئْذَن لِّي } في التخلف { وَلاَ تَفْتِنِّي } في الخروج، فإني إذا خرجت، فرأيت نساء بين الأصفر لا أصبر عنهن، كما قال ذلك " الجد بن قيس" ومقصوده – قبحه الله – الرياء والنفاق بأن مقصودي مقصود حسن، فإن في خروجي فتنة وتعرضاً للشر، وفي عدم خروجي عافية وكفا عن الشر.قال الله تعالى مبينا كذب هذا القول: { أَلا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ } فإنه على تقدير صدق هذا القائل في قصده، [فإن] في التخلف مفسدة كبرى وفتنة عظمى محققة، وهي معصية الله ومعصية رسوله، والتجرؤ على الإثم الكبير، والوزر العظيم، وأما الخروج فمفسدة قليلة بالنسبة للتخلف، وهي متوهمة، مع أن هذا القائل قصده التخلف لا غير، ولهذا توعدهم الله بقوله: { وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَافِرِينَ } ليس لهم عنها مفر ولا مناص، ولا فكاك، ولا خلاص."[2]

الآية الثالثة: {وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ (86)}

يقول الشيخ السعدي رحمه الله :"يقول تعالى: في بيان استمرار المنافقين على التثاقل عن الطاعات، وأنها لا تؤثر فيهم السور والآيات: {وَإِذَآ { أُنزِلَتْ سُورَةٌ } يؤمرون فيها بالإيمان بالله والجهاد في سبيل الله {ٱسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ } يعني: أولي الغنى والأموال، الذين لا عذر

---

[1]- الطبري ج 8 ص 4004 - 4007
[2]- السعدي ج 1 ص 848

لهم وقد أمدهم الله بأموال وبنين، أفلا يشكرون الله ويحمدونه، ويقومون بما أوجبه عليهم، وسهل عليهم أمره، ولكن أبوا إلا التكاسل والاستئذان في القعود { وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُنْ مَّعَ ٱلْقَاعِدِينَ}."[1]

الآية الرابعة: {وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (90) لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (91) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ (92) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (93)}

معنى الآيات الكريمة:

يقول السعدي رحمه الله تعالى: "يقول تعالى: { وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ } أي: جاء الذين تهاونوا، وقصروا منهم في الخروج لأجل أن يؤذن لهم في ترك الجهاد، غير مبالين في الاعتذار لجفائهم وعدم حيائهم، وإتيانهم بسبب ما معهم من الإيمان الضعيف

وأما الذين كذبوا الله ورسوله منهم، فقعدوا وتركوا الاعتذار بالكلية، ويحتمل أن معنى قوله: { ٱلْمُعَذِّرُونَ } أي: الذين لهم عذر، أتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعذرهم، ومن عادته أن يعذر من له عذر

{وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ } في دعواهم الإيمان، المقتضي للخروج، وعدم عملهم بذلك، ثم توعدهم بقوله: { سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } في الدنيا والآخرة

لما ذكر المعتذرين، وكانوا على قسمين، قسم معذور في الشرع، وقسم غير معذور، ذكر ذلك بقوله:{ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ } في أبدانهم وأبصارهم، الذين لا قوة لهم على الخروج والقتال. { وَلاَ عَلَىٱ ;لْمَرْضَىٰ } وهذا شامل لجميع أنواع المرض الذي لا يقدر صاحبه معه على الخروج والجهاد، من عرج، وعمى، وحمى، وذات الجنب، والفالج، وغير ذلك

{وَلاَ عَلَى ٱلَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ } أي: لا يجدون زاداً، ولا راحلة يتبلغون بها في سفرهم، فهؤلاء ليس عليهم حرج، بشرط أن ينصحوا لله ورسوله، بأن يكونوا صادقي الإيمان، وأن يكون من نيتهم وعزمهم أنهم لو قدروا لجاهدوا، وأن يفعلوا ما يقدرون عليه من الحث والترغيب والتشجيع على الجهاد{مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ } أي: من سبيل يكون عليهم فيه تبعة، فإنهم – بإحسانهم فيما عليهم من حقوق الله وحقوق العباد – أسقطوا توجه اللوم عليهم، وإذا أحسن العبد فيما يقدر عليه، سقط عنه ما لا يقدر عليه

ويستدل بهذه الآية على قاعدة وهي: أن من أحسن على غيره، في [نفسه] أو في ماله، ونحو ذلك، ثم ترتب على إحسانه نقص أو تلف، أنه غير ضامن لأنه محسن، ولا سبيل على المحسنين، كما أنه يدل على أن غير المحسن –وهو المسيء– كالمفرط، أن عليه الضمان

{وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } ومن مغفرته ورحمته، عفا عن العاجزين، وأثابهم بنيتهم الجازمة ثواب القادرين الفاعلين

---

[1]- السعدي ج 1 ص 868

{وَلاَ عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ } فلم يصادفوا عندك شيئاً { قُلْتَ } لهم معتذراً: { لاَ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنْفِقُونَ } فإنهم عاجزون باذلون لأنفسهم، وقد صدر منهم من الحزن والمشقة ما ذكره الله عنهم

فهؤلاء لا حرج عليهم، وإذا سقط الحرج عنهم، عاد الأمر إلى أصله، وهو أن من نوى الخير، واقترن بنيته الجازمة سَعْيٌ فيما يقدر عليه، ثم لم يقدر، فإنه ينزل منزلة الفاعل التام

{إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ } يتوجه واللوم يتناول الذين يستأذنوك وهم أغنياء قادرون على الخروج لا عذر لهم، فهؤلاء { رَضُواْ } لأنفسهم ومن دينهم { بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ } كالنساء والأطفال ونحوهم

وَإنما رضوا بهذه الحال لأن الله طبع على قلوبهم أي: ختم عليها، فلا يدخلها خير، ولا يحسون بمصالحهم الدينية والدنيوية، { فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ } عقوبة لهم على ما اقترفوا."[1]

❖ المطلب الثاني: خطورة الصفة .

يمثل اختلاق الأعذار للاعتذار عن الطاعات خطرًا عظيمًا وذلك أنه يلجئ صاحبه إلى الكذب بل وربما الحلف كاذبًا ليسلم من عتاب الناس ولومهم.

❖ المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق.

* أن يكتب عند الله كذابًا
* الفضيحة بين الناس
* عدم التوفيق للطاعات
* السقوط في الفتن
* حصول العذاب الأليم في الدنيا بالقتل

❖ المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة .

* قرأءة القرآن وتدبره والامتثال لما فيه من أمر ونهي.
* لزوم تقوى الله عز وجل
* الاستعداد للطاعات والتهيؤ لها
* زيادة الإيمان بالله واليوم الآخر
* انتواء الطاعات مع انقطاع السبل ليحصل الأجر
* معرفة عقوبة التخلف عن الطاعات

[1]- السعدي ج1 ص 870

۞ المبحث الخامس: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف

❖ المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها .

الآية الأولى: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (67)}

معنى الآية الكريمة:

يقول الطبري رحمه الله : "يقول تعالى ذكره: { المنافِقُونَ وَالمنافِقاتُ } وهم الذين يظهرون للمؤمنين الإيمان بألسنتهم ويسرّون الكفر بالله ورسوله { بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ } يقول: هم صنف واحد، وأمرهم واحد، في إعلانهم الإيمان واستبطانهم الكفر، **يأمرون من قبل منهم بالمنكر، وهو الكفر بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به وتكذيبه. { وَيَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ } يقول: وينهونهم عن الإيمان بالله ورسوله وبما جاءهم به من عند الله.** وقوله: { وَيَقْبِضُونَ أيْديهُمْ } يقول: ويمسكون أيديهم عن النفقة في سبيل الله ويكّفونها عن الصدقة، فيمنعون الذين فرض الله لهم في أموالهم ما فرض من الزكاة حقوقهم .

وأما قوله: { نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ } فإن معناه: تركوا الله أن يطيعوه ويتبعوا أمره، فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته

قوله: { إنَّ المنافِقِينَ هُمُ الفاسِقُونَ } يقول: إن الذين يخادعون المؤمنين بإظهارهم لهم بألسنتهم الإيمان بالله، وهم للكفر مستبطنون، هم المفارقون طاعة الله الخارجون عن الإيمان به وبرسوله[1] ".

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: "يقول تعالى: { ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّن بَعْضٍ } لأنهم اشتركوا في النفاق، فاشتركوا في تولي بعضهم بعضاً، وفي هذا قطع للمؤمنين من ولايتهم ، **ثم ذكر وصف المنافقين العام، الذي لا يخرج منه صغير منهم ولا كبير، فقال: { يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ } وهو الكفر والفسوق والعصيان{وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ } وهو الإيمان، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة، والآداب الحسنة.** { وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ } عن الصدقة وطرق الإحسان، فوصفهم البخل. {نَسُواْ ٱللَّهَ } فلا يذكرونه إلا قليلاً، {فَنَسِيَهُمْ } من رحمته، فلا يوفقهم لخير، ولا يدخلهم الجنة، بل يتركهم في الدرك الأسفل من النار، خالدين فيها مخلدين.

{إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} حصر الفسق فيهم، لأن فسقهم أعظم من فسق غيرهم، بدليل أن عذابهم أشد من عذاب غيرهم، وأن المؤمنين قد ابتلوا بهم، إذ كانوا بين أظهرهم، والاحتراز منهم شديد"[2]

---

[1] الطبري (المصدر نفسه)

[2] السعدي (المصدر نفسه)

❖ المطلب الثاني: خطورة الصفة .

تلبيس الحق بالباطل صفة شيطانية ، بل إن من أخطر أنواع الفتن أن تُقلب الحقائق، فيُشّرع الباطل، ويُجرّم الحق، ، وهي لا يخلو منافق منها، وهو من الخطر بمكان لأنه يُخدع به من لا علم له وضعيفي الإيمان ، وهو من عادات الكفار في كل زمان فقالوا في نوح: {إن هو إلا رجل به جنة}،وقالوا في هود: {إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين}، وقالوا في صالح: {إنما أنت من المسحّرين}، وقالوا في شعيب: {لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذاً لخاسرون}، وقالوا في محمد: {إن تتبعون إلا رجلا مسحورا}. ومن صوره في زماننا:

* تسمية المعاصي بغير اسمها
* التنفير من الحق

❖ المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق.

* ترك الله عز و جل لهم وخذلانهم { نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ}
* التلبس بالفسوق { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}
* الطرد من رحمة الله عز وجل { وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ}

❖ المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة .

* كثرة ذكر الله
* كثرة الإنفاق في سبيل الله لتزكو نفسه
* مجاهدة لسانه والإمساك عما لا ينفع من الكلام
* التأمل في عاقبة ذلك في الأمم السابقة وكيف أخذهم الله على الرغم من أنهم كانوا أقوى منا.

الفصل الثالث

الصفات القلبية

وفيه خمسة مباحث

- المبحث الأول:محبة انتصار الباطل على الحق.
- المبحث الثاني: الخوف والجبن .
- المبحث الثالث: الرضا بالدنيا والعمل لأجلها فقط .
- المبحث الرابع : الفرح بالمعصية
- المبحث الخامس: الانشغال برضا الناس عن رضا الله.

۞ المبحث الأول: محبة انتصار الباطل على الحق

❖ المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها .

{لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (48)}

معنى الآية الكريمة:

يقول الإمام الطبري رحمه الله تعالى: " يقول تعالى ذكره: لقد التمس هؤلاء المنافقون الفتنة لأصحابك يا محمد، التمسوا صدّهم عن دينهم، وحرصوا على ردّهم إلى الكفر بالتخذيل عنه، كفعل عبد الله بن أبيّ بك وبأصحابك يوم أُحد حين انصرف عنك بمن تبعه من قومه، وذلك كان ابتغاءهم ما كانوا ابتغوا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتنة من قبل. ويعني بقوله: { مِنْ قَبْلُ }: من قبل هذا. { وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ } يقول: وأجالوا فيك وفي إبطال الدين الذي بعثك به الله الرأي بالتخذيل عنك، وإنكار ما تأتيهم به، وردّه عليك. { حَتَّى جاءَ الحَقُّ } يقول: حتى جاء نصر الله، { وَظَهَرَ أمْرُ اللَّهِ } يقول: وظهر دين الله الذي أمر به وافترضه على خلقه وهو الإسلام. { وَهُمْ كارِهُونَ } يقول: **والمنافقون لظهور أمر الله ونصره إياك كارهون، وكذلك الآن يظهرك الله ويظهر دينه على الذين كفروا من الروم وغيرهم من أهل الكفر به وهم كارهون.**" [1]

❖ المطلب الثاني: خطورة الصفة .

هذه الصفة هي السبب في أمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف ، ومن عاش ساعيًا حريصًا على إظهار الباطل وإخفاء الحق وفرح بذلك فهو لا شك من أشقى الناس لأنه عادى الله وسنته، فلن يهنأ أبدًا لأنه لن ينال مراده .

ومحبة انتصار الباطل هي رأس أمور كثيرة قد يفعلها المنافق ليحصل هذا ولن يحصل ، مثل الوقيعة بين المؤمنين ، وإفشاء أسرارهم للعدو وغيرها من البلايا.

❖ المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق.

أشد عواقب هذه الصفة أنه يخسر سعيه كله في الدنيا، لأنه لن يتحقق له مراده مهما طال الزمن ، فإنه لابد أن ينتصر الحق ويغلب ولابد أن يعود كيده في نحره ، هذا إلى جانب بغض المؤمنين له ، وعدم ثقتهم فيه ، ومقت الله وغضبه .

❖ المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة .

أعظم ما يحض العبد على محبة انتصار الحق هو محبة الله عز وجل ، كذلك التأسي بالأنبياء والصالحين ، وكيف أنهم لم يدخروا جهدًا في نصر الحق أبدا .

---

[1]- تفسير الطبري ج 8 ص 4010

۞ المبحث الثاني: الخوف والجبن

❖ المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها .

{وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (56) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (57)}

معنى الآية الكريمة:

يقول الشيخ السعدي رحمه الله : " { وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ } قصدهم في حلفهم هذا أنهم { قَوْمٌ يَفْرَقُونَ } أي: يخافون الدوائر، وليس في قلوبهم شجاعة تحملهم على أن يبينوا أحوالهم. فيخافون إن أظهروا حالهم منكم، ويخافون أن تتبرؤوا منهم، فيتخطفهم الأعداء من كل جانب.وأما حال قوي القلب ثابت الجنان، فإنه يحمله ذلك على بيان حاله، حسنة كانت أو سيئة، ولكن المنافقين خلع عليهم خلعة الجبن، وحلوا بحلية الكذب.ثم ذكر شدّة جبنهم فقال: { لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئاً } يلجؤون إليه عندما تنزل بهم الشدائد، { أَوْ مَغَارَاتٍ } يدخلونها فيستقرون فيها { أَوْ مُدَّخَلاً } أي: محلاً يدخلونه فيتحصنون فيه { لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ } أي: يسرعون ويهرعون، فليس لهم ملكة يقتدرون بها على الثبات." [1]

وقال ابن عاشور رحمه الله في تفسيره : " واختيار صيغة المضارع في قوله: { ويحلفون } وقوله: { يفرقون } للدلالة على التجدّد وأنّ ذلك دأبهم."[2]

وقال الراغب في المفردات: " الفرق: تَفَرُّق القلب من الخوف واستعمال الفرق فيه كاستعمال الصدع والشق فيه." [3]

❖ المطلب الثاني: خطورة الصفة .

الجبن صفة مذمومة جبليًّا، ولذلك كان العرب يتمادحون بالشجاعة حتى قبل الإسلام ، والجبن لا يؤخر أجلًا ولا يأتي برزق ، لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ منه ، ومن خطورة الجبن أن الجبان يسيء الظن بربه ، ويؤدي إلىإهانة النفس، وسوء العيش، وإلى قلة الثبات والصبر، في المواطن التي يجب فيها الثبات ، وهو سبب للكسل، ومحبة الراحة؛ اللذين هما سببا كلِّ رذيلة. وكذلك من خطورته ما يوجبه الجبن من الفرار في الجهاد في سبيل الله هو من الكبائر الموجبة للنار.

❖ المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق.

* يؤدي إلى التقصير في أداء الواجبات، والقيام بحقوق الله، ومن أعظمها مجاهدة أهل الباطل، وتغيير المنكرات.

---

[1]- تفسير السعدي ج1 ص 851
[2] - تفسير ابن عاشور ج 10 ص 230
[3]- مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص 634

* يورث الذل، وضيق الصدر، قال ابن القيِّم رحمه الله: "فإن الشجاع منشرح الصدر، ومتسع القلب، والجبان أضيق الناس صدرًا وأحصرهم قلبًا لا فرحة له ولا سرور، ولا لذة إلا من جنس الحيوان البهيمي، وأما سرور الروح، ولذتها، ونعيمها، وابتهاجها، فمحرم على كل جبان كما هو محرم على كل بخيل" .

❖ المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة .

الجبن له أسباب تؤدي إليه، ويلزم في علاجه إزالة هذه الأسباب، :

قال ابن النحاس : "هذه الأسباب إما جهل فيزول بالتجربة، وإما ضعف فيزول بارتكاب الفعل المخوف مرة بعد أخرى، حتى يصير ذلك له عادة وطبعًا،... فالمبتدئ في المناظرة، والإمامة، والخطابة، والوعظ،... قد تجبن نفسه، ويخور طبعه، ويتلجلج لسانه، وما ذاك إلا لضعف قلبه، ومواجهة ما لم يتعوده، فإذا تكرر ذلك منه مرات، فارقه الضعف، وصار الإقدام على ذلك الفعل ضروريًّا، غير قابل للزوال،... واعلم أنَّ قوة النفس والعزم الجازم بالظفر سبب للظفر، كما قال علي رضي الله عنه لما قيل له: كيف كنت تصرع الأبطال؟ قال: كنت ألقي الرجل فأقدِّر أني أقتله، ويقدِّر هو أيضًا أني أقتله، فأكون أنا ونفسه عونًا عليه. ومن وصايا بعضهم: أشعروا قلوبكم في الحرب الجرأة؛ فإنها سبب الظفر. ومن كلام القدماء: من تهيب عدوه، فقد جهز إلى نفسه جيشًا" .

وقال ابن مسكويه في وسائل علاج الجبن: (وذلك بأن توقظ النفس التي تمرض هذا المرض — مرض الجبن – بالهزِّ والتحريك. فإنَّ الإنسان لا يخلو من القوة الغضبية رأسًا؛ حتى تجلب إليه من مكان آخر، ولكنها تكون ناقصة عن الواجب، فهي بمنزلة النار الخامدة التي فيها بقية لقبول الترويح والنفخ، فهي تتحرَّك لا محالة إذا حُرِّكت بما يلائمها، وتبعث ما في طبيعتها من التوقُّد والتلهُّب.

وقد حُكي عن بعض المتفلسفين أنَّه كان يتعمَّد مواطن الخوف، فيقف فيها، ويحمل نفسه على المخاطرات العظيمة بالتعرُّض لها، ويركب البحر عند اضطرابه وهيجانه؛ ليعود نفسه الثبات في المخاوف، ويحرِّك منها القوة التي تسكن عند الحاجة إلى حركتها، ويخرجها عن رذيلة الكسل ولواحقه، ولا يكره لمثل صاحب هذا المرض بعض المراء، والتعرُّض للملاحاة وخصومة من يأمن غائلته؛ حتى يقرب من الفضيلة التي هي وسط بين الرذيلتين، أعني الشَّجَاعَة التي هي صحة النفس المطلوبة، فإذا وجدها وأحسَّ بها من نفسه كفَّ ووقف، ولم يتجاوزها حذرًا من الوقوع في الجانب الآخر).

۞ المبحث الثالث: الرضا بالدنيا والعمل لأجلها فقط

❖ المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها .

الآية الأولى : {لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (42)}

معنى الآية الكريمة :

يقول السعدي رحمه الله: " لو كان خروجهم لطلب العرض القريب، أي: منفعة دنيوية سهلة التناول { وَ }كان السفر {سَفَراً قَاصِداً } أي: قريباً سهلاً { لَّٱتَّبَعُوكَ } لعدم المشقة الكثيرة، { وَلَٰكِن بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُ } أي: طالت عليهم المسافة، وصعب عليهم السفر، فلذلك تثاقلوا عنك، وليس هذا من أمارات العبودية، بل العبد حقيقة هو المتعبد لربه في كل حال، القائم بالعبادة السهلة والشاقة، فهذا العبد لله على كل حال.{وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ } أي: سيحلفون أن تخلفهم عن الخروج، أن لهم أعذراً، وأنهم لا يستطيعون ذلك{ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ } بالقعود والكذب والإخبار بغير الواقع، { وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ }" .[1]

الآية الثانية: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (58)}

معنى الآية الكريمة :

يقل الشيخ السعدي رحمه الله : "ومن هؤلاء المنافقين من يعيبك في قسمة الصدقات، وينتقد عليك فيها، وليس انتقادهم فيها وعيبهم لقصد صحيح، ولا لرأي رجيح، وإنما مقصودهم أن يعطوا منها. { فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ } وهذه حالة لا تنبغي للعبد أن يكون رضاه وغضبه، تابعاً لهوى نفسه الدنيوي وغرضه الفاسد، بل الذي ينبغي أن يكون هواه تبعاً لمرضاة ربه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به ".[2]

❖ المطلب الثاني: خطورة الصفة .

عدم الرضا بقسمة الله ورسوله والتطلع لما فيه مصلحة العبد ولو كان خلافًا لمصلحة الدين فيه دليل قوي على ضعف الإيمان ، كما أنه دليل عدم الرضا بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

[1]- تفسير السعدي ج1 ص 845

[2] - تفسير السعدي ج 1 ص 852

❖ المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق.

* محق البركة.
* الانشغال بالدنيا حتى يصبح لها كالعبد
* يضل صاحبه في الدنيا ويفقد توفيق الله له
* يُكسب صاحبه الذل والاحتقار من الناس

❖ المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة .

في قوله تعالى : { وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ (59) } العلاج لهذا الداء وهو :

* الرضا بقسمة الله
* حسن الظن فيما عند الله
* التضرع والإلحاح على الله عز وجل.

❁ المبحث الرابع : الفرح بالمعصية

❖ المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها .

{فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (81)}

معنى الآية الكريمة:

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "يقول تعالى مبيناً تبجح المنافقين بتخلفهم وعدم مبالاتهم بذلك، الدال على عدم الإيمان، واختيار الكفر على الإيمان. { فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ ٱللَّهِ } وهذا قدر زائد على مجرد التخلف، فإن هذا تخلف محرّم، وزيادة رضا بفعل المعصية، وتبجح به. {وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ } وهذا بخلاف المؤمنين الذين إذا تخلفوا –ولو لعذر– حزنوا على تخلفهم وتأسفوا غاية الأسف، ويحبون أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، لما في قلوبهم من الإيمان، ولما يرجون من فضل الله وإحسانه وبره وامتنانه. {وَقَالُواْ } أي: المنافقون { لاَ تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ } أي: قالوا: إن النفير مشقة علينا بسبب الحر، فقدموا راحة قصيرة منقضية على الراحة الأبدية التامة. وحذروا من الحر الذي يقي منه الظلال، ويذهبه البكر والآصال، على الحر الشديد الذي لا يقادر قدره، وهو النار الحامية. ولهذا قال: { قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ } لما آثروا ما يفنى على ما يبقى، ولما فروا من المشقة الخفيفة المنقضية، إلى المشقة الشديدة الدائمة."[1]

❖ المطلب الثاني: خطورة الصفة .

المؤمن قد يقع في شيء من المعصية وقد تغلبه نفسه الأمارة بالسوء، ولكنه مهما وقع في شيء من الخطايا فإنه يحس بوطأة الذنب وتأنيب الضمير، أما غير المؤمن فهو يرى المعصية تحصيلًا لنفع.

وكيف ينعم عبد وهو يعلم أن الله مطلع عليه وهو يعصيه وقادر على الانتقام منه !!

وصورة الفرح بالمعصية التي نقع فيها ونحن لا نشعر هي: المجاهرة بالذنوب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :[كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنْ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ] رواه البخاري .

[1] - السعدي ج 1 ص 866 ، 867

❖ المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق.

* المنع والحرمان وعدم التوفيق لسائر الطاعات وذلك لرضاهم بالترك أول مرة قال تعالى :{ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ}
* الحرمان من دعاء الصالحين واستغفارهم وأولهم النبي صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى:{ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ}
* التعب والضنك والعذاب في هذه الحياة الدنيا ، قال تعالى: {وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا}

❖ المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة .

* استشعار عظمة الله عز وجل والخوف مما يغضبه .
* التعرف على المعاصي حتى لا يقع العبد في المجاهرة دون القصد .

❁ المبحث الخامس: الانشغال برضا الناس عن رضا الله

❖ المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها .

الآية الأولى: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (62)}

معنى الآية الكريمة :

سبق الكلام عن الآية التي قبلها في صفة الاستهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وهذه الآية يقول فيها السعدي رحمه الله: "{ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ } فيتبرؤوا مما صدر منهم من الأذية وغيرها، فغايتهم أن ترضوا عليهم. { وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوٓاْ مُؤْمِنِينَ } لأن المؤمن لا يقدم شيئاً على رضا ربه ورضا رسوله، فدل هذا على انتفاء إيمانهم حيث قدموا رضاً غير الله ورسوله."[1]

الآية الثانية: {سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (95) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (96)}

معنى الآية الكريمة :

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "{ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ } أي: لا توبخوهم، ولا تجلدوهم أو تقتلوهم.{إِنَّهُمْ رِجْسٌ } أي: إنهم قذر خبثاء، ليسوا بأهل لأن يبالى بهم، وليس التوبيخ والعقوبة مفيداً فيهم، { وَ } تكفيهم عقوبة جهنم جزاء بما كانوا يكسبون.وقوله: { يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ } أي: ولهم أيضاً هذا المقصد الآخر منكم، غير مجرد الإعراض، بل يحبون أن ترضوا عنهم، كأنهم ما فعلوا شيئاً.{ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱ ;لْفَاسِقِينَ } أي: فلا ينبغي لكم –أيها المؤمنون– أن ترضوا عن من لم يرض الله عنه، بل عليكم أن توافقوا ربكم في رضاه وغضبه. وتأمل كيف قال: { فَإِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَاسِقِينَ} ولم يقل: " فإن الله لا يرضى عنهم " ليدل ذلك على أن باب التوبة مفتوح، وأنهم مهما تابوا هم أو غيرهم، فإن الله يتوب عليهم، ويرضى عنهم.وأما ما داموا فاسقين، فإن الله لا يرضى عليهم، لوجود المانع من رضاه، وهو خروجهم عن ما رضيه الله لهم من الإيمان والطاعة، إلى ما يغضبه من الشرك والنفاق والمعاصي. وحاصل ما ذكره الله أن المنافقين المتخلفين عن الجهاد من غير عذر، إذا اعتذروا للمؤمنين، وزعموا أن لهم أعذاراً في تخلفهم، فإن المنافقين يريدون بذلك أن تعرضوا عنهم، وترضوا وتقبلوا عذرهم، فأما قبول العذر منهم والرضا عنهم، فلا حباً ولا كرامة لهم. وأما الإعراض عنهم، فيعرض المؤمنون عنهم، إعراضهم عن الأمور الردية والرجس." [2]

---

[1]- تفسير السعدي ج 1 ص 855

[2]- تفسير السعدي ج1 ص 873

❖ المطلب الثاني: خطورة الصفة .

إن مرض الرياء والانشغال برضا الناس هو الداء العضال ، وهو المرض الذي خافه النبي صلى الله عليه وسلم على أمته، لأنه محبط للعمل ويوقع فيما هو أشد منه وهو الشرك الأكبر.

❖ المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق.

* سخط الله والناس ، فإن من انشغل برضا الناس عوقب بنقيض قصده ، وقد قال النبي صلى الله عليه ولم: [من التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عنه وأسخط عنه الناس]
* التلبس بالفسوق ، قال تعالآ : {إِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}
* حبوط العمل

❖ المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة .

* تقوية الإيمان في القلب، ليعظم رجاء العبد لربه، ويعرض عمن سواه، ولأن قوة الإيمان في القلب من أعظم الأسباب التي يعصم الله بها العبد من وساوس الشيطان، ومن الانقياد لشهوات النفس.
* التزود من العلم الشرعي، وبالأخص علم العقيدة الإسلامية، ليكون ذلك حرزاً له بإذن الله من فتن الشبهات، وليعرف عظمة ربه جل وعلا، وضعف المخلوقين وفقرهم، فيحمله ذلك كله على مقت الرياء واحتقاره والبعد عنه، وليعرف أيضاً مداخل الشيطان ووساوسه، فيحذرها.
* الإكثار من الالتجاء إلى الله تعالى ودعائه أن يعيذه من شر نفسه, ومن شرور الشيطان ووساوسه، وأن يرزقه الإخلاص فيما يأتي وما يذر، والإكثار من الأذكار الشرعية التي هي حصن من شرور النفس والشيطان.
* تذكر العقوبات الأخروية العظيمة التي تحصل للمرائي، ومن أعظمها أنه من أول من تسعر بهم النار يوم القيامة.
* التفكر في حقارة المرائي وأنه من السفهاء والسفلة؛ لأنه يضيع ثواب عمله الذي هو سبب لفوزه بالجنة, ونجاته من عذاب القبر, وشدة القيامة, وعذاب النار من أجل مدح الناس والحصول على منزلة عند المخلوقين، فهو يبحث عن رضا المخلوق بمعصية الخالق، ولهذا لما سئل الإمام مالك – رحمه الله – من السفلة؟ قال: (من أكل بدينه)
* الحرص على كل ما هو سبب في عدم الوقوع في الرياء، وذلك بالحرص على إخفاء العبادات المستحبة، وبمدافعة الرياء عندما يخطر بالقلب، وبالبعد عن مجالسة المداحين وأهل الرياء، ونحو ذلك. [1]

[1]- تسهيل العقيدة الإسلامية لعبد الله بن عبد العزيز بن جبرين ص 265

الفصل الرابع

الصفات الخُلُقية

وفيه ثلاثة مباحث

- المبحث الأول: الكذب.
- المبحث الثاني: كثرة الحلف.
- المبحث الثالث: خلف الوعد .

المبحث الأول: الكذب

❖ المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها.

الآية الأولى: { لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (42) عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (43)}

سبق بيان معاني الآيات [1]

الآية الثانية: { وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (56)}

سبق الكلام عن الآية في صفة الخوف والجبن

الآية الثالثة: { يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (74)}

معنى الآية الكريمة:

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: " {يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ } أي: إذا قالوا الكلام الذي يتكلم به الواحد بعد الواحد، في الاستهزاء بالدين، وبالرسول. فإذا بلغهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغه شيء من ذلك، جاؤوا إليه يحلفون بالله ما قالوا. قال تعالى مكذباً لهم: { وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ } فإسلامهم السابق –وإن كان ظاهره أنه أخرجهم من دائرة الكفر – فكلامهم الأخير ينقض إسلامهم، ويدخلهم بالكفر. {وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ } وذلك حين هموا بالفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، فقص الله عليه نبأهم، فأمر من يصدهم عن قصدهم. {وَ } الحال أنهم { مَا نَقَمُوۤاْ } وعابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم { إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ } بعد أن كانوا فقراء معوزين، وهذا من أعجب الأشياء، أن يستهينوا بمن كان سبباً لإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومغنياً لهم بعد الفقر، وهل حقه عليهم إلا أن يعظموه، ويؤمنوا به ويجلوه؟!! فاجتمع الداعي الديني وداعي المروءة الإنسانية. ثم عرض عليهم التوبة فقال: { فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْراً لَّهُمْ } لأن التوبة أصل لسعادة الدنيا والآخرة. { وَإِن يَتَوَلَّوْا } عن التوبة والإنابة { يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي ٱلدُّنْيَا وَٱ ;لآخِرَةِ } في الدنيا بما ينالهم من الهم والغم والحزن على نصرة الله لدينه، وإعزاز نبيه، وعدم حصولهم على مطلوبهم، وفي الآخرة، في عذاب السعير. { وَمَا لَهُمْ فِي ٱلأَرْضِ مِن وَلِيٍّ } يتولى أمورهم، ويحصل لهم المطلوب { وَلاَ نَصِيرٍ } يدفع عنهم المكروه، وإذا انقطعوا من ولاية الله تعالى، فَثَمَّ أصناف الشر والخسران، والشقاء والحرمان." [2]

---

[1]- تُراجع صفة اختلاق الأعذار لترك الطاعات

[2]- تفسير السعدي ج 1 ص 861

الآية الرابعة: { فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (77)}

نتكلم عنها بالتفصيل في صفة خلف الوعد

الآية الخامسة:{وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (90)}

سبق بيان معنى الآية[1]

الآية السادسة:{ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (107)}

سبق بيان معنى الآية [2]

ومن خلال الآيات يتبين كذب المنافقين في مجالات أربعة:

الأول/ ادعاء الإيمان مع إبطان الكفر ،كما في قوله :{ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ}

الثاني/ ادعاء حبهم للمؤمنين وموالاتهم لهم وأنهم منهم وما هم منهم، كما قال تعالى: { وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (56)}

الثالث/ اختلاق المعاذير لترك الطاعات كالجهاد والنفقة ، كما قال تعالى: { لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (42)}

الرابع / تبرير معاصيهم وأعمالهم الفاجرة وأفعالهم الشنيعة، كما قال تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (107)}.

❖ المطلب الثاني: خطورة الصفة.

إن الكذب هو أظهر وأجلى صفات المنافقين ، وما النفاق إلا الكذب في ادعاء الإيمان مع إبطان الكفر، ولهذا هو أكثر أوصاف المنافقين ، فهم يكذبون على الله وعلى عباد الله وعلى أنفسهم ولكثرة كذبهم لم يتورعوا عن الحلف الفاجر لينالوا ما أرادوا.

❖ المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق.

* الكذب يهدي إلى الفجور.
* الكذب يذهب بالمروءة.
* الكذب يعرض صاحبه للإهانة.

---

[1]- نفس المصدر السابق

[2]- تُراجع صفة موالاة الكفار

* الكذاب لا تسكن القلوب إليه بل تنفر منه.

❖ المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة .

* بينت الآية الكريمة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)} العلاج القوي لأمر الكاذب وهو:

لزوم تقوى الله عز وجل

الصحبة الصالحة

* وكذلك من العلاجات للكذب:

إقناع الكبير بأنّ الكذب هو من الأخلاق الذّميمة والصّفات السّيئة التي تبعد عن الإنسان سمة الصّلاح والتّقوى

إقناع الإنسان الذي يكذب بأنّ الكذب ليس وسلية للنّجاة والخلاص من المواقف الصّعبة

إقناع الإنسان الذي يكذب بأنّ هناك وسيلة تغني الإنسان عن الكذب وهي التّعريض أو التورية

المبحث الثاني: كثرة الحلف

❖ المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها.

الآية الأولى: {لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (42)}

الآية الثانية: {وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (56)}

الآية الثالثة: { يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (62)}

الآية الرابعة: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (74)}

الآية الخامسة: {سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (95) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (96)}

الآية السادسة : {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (107)}

وكل الآيات سبق بيان معناها في مباحث سابقة يُستغنى بها عن الإعادة هنا تحاشيًا للإطالة

❖ المطلب الثاني: خطورة الصفة.

كثرة الحلف دليل على عدم تعظيم الله عز وجل وإذا كان المقسم عليه كذبًا يكون الجرم أشد وأعظم ، وأكثر سبب في كثرة حلف المنافقين هو كذبهم ؛ فهم يكذبون ويحلفوا ليُصَدَّقوا.

❖ المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق.

* سبب لمحق البركة
* نقصان الإيمان
* استحقاق مقت الله وعذابه

❖ المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة .

يمنع نفسه من الحلف ، فإن لم يستطع فليمنع نفسه من الحنث في يمينه ، فإن لم يستطع يلزم نفسه الكفارة حتى تكون له رادعة .

المبحث الثالث: خلف الوعد

❖ المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها.

{وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (75) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (76) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (77) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (78)}

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "

أي: ومن هؤلاء المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه { لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ } من الدنيا فبسطها لنا ووسعها { لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ } فنصل الرحم، ونقري الضيف، ونعين على نوائب الحق، ونفعل الأفعال الحسنة الصالحة. {فَلَمَّآ آتَاهُمْ مِّن فَضْلِهِ } لم يفوا بما قالوا، بل { بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ } عن الطاعة والانقياد { وَّهُمْ مُّعْرِضُونَ } أي: غير ملتفتين إلى الخير. فلما لم يفوا بما عاهدوا الله عليه، عاقبهم { فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ } مستمراً { إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ }. فليحذر المؤمن من هذا الوصف الشنيع، أن يعاهد ربه، إن حصل مقصوده الفلاني ليفعلن كذا وكذا، ثم لا يفي بذلك، فإنه ربما عاقبه الله بالنفاق كما عاقب هؤلاء.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الثابت في الصحيحين: " آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف ." فهذا المنافق الذي وعد الله وعاهده، لئن أعطاه الله من فضله، ليصدقن وليكونن من الصالحين، حدث فكذب، وعاهد فغدر، ووعد فأخلف. ولهذا توعد من صدر منهم هذا الصنيع بقوله: { أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلاَّمُ ٱلْغُيُوبِ } وسيجازيهم على ما عملوا من الأعمال التي يعلمها الله تعالى." [1]

❖ المطلب الثاني: خطورة الصفة.

إن الوفاء بالعهود من سمات الرجال والخلف لها سمة الضعفاء الجبناء، وإذا انتشرت هذه الصفة بين المؤمنين انتزعت الثقة من بينهم وانتشرت الريبة وضعفت الروابط.

وقد ضرب الله في ناقض العهد مثلًا فقال: {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [النحل: 92]. فقال مثل الَّذي نقض العَهْد كَمثل الْغَزل الَّتِي نقضت تِلْكَ الْمَرْأَة الحمقاء. فقال: ولا تنقضوا أي: لا تنكثوا العهود بعد توكيدها كما نقضت تلك الحمقاء غزلها، من بعد قوة من بعد إبرامه أنكاثًا، يعني نقضًا، فلا هو غزل تنتفع به، ولا صوف ينتفع به، فكذا الذي يعطي العهد ثم ينقضه لا هو وفى بالعهد إذا أعطاه، ولا

[1]- تفسير السعدي ج 1 ص 863

هو ترك العهد فلم يعطه، وضرب مثلًا آخر لناقض العهد فقال: {وَلاَ تَتَّخِذُواْ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [النحل: 94] أي: عهودكم بالمكر والخديعة، فتزل قدم بعد ثبوتها، يقول: إنَّ ناقض العهد يزل في دينه عن الطاعة كما تزل قدم الرجل بعد الاستقامة

ومن أشهر صور خلف العهد في زماننا ، خلف الموعد بأن يعطي موعدًا وفي نيته عدم الوفاء، أما إذا أعطى موعدًا وفي نيته الوفاء ولم يف لأمر خارج عن إرادته فلا يعد ذلك نقضًا للوعد.

❖ المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق.

على الرغم من أن خلف العهد نتيجة النفاق في قلوبهم إلا أن الله جل وعلا قد يعاقب من استرسل في شعبة من شعب النفاق بأن يزيده نفاقًا وأشد العقوبات أن تمتد عقوبة هذا الخلف للوعد إلى بعض عقوبات الذنوب تمتد حتى يوم اللقاء، وهنا تكون الشقاوة.

ومن عقوباته أيضًا:

* كفر من نقض عهد الله :

قرن الله سبحانه وتعالى بين الكفر ونقض العهد في أكثر من موضع في القرآن الكريم، ولا شك في كفر من نقض عهده مع الله وأخلَّ بميثاقه الذي أخذه عليه، فقال تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ} [البقرة: 93]

* الخسران:

قال تعالى:{ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }[البقرة: 27]

* اللعن وقسوة القلوب والطبع عليها:

قال تعالى:{ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً} [المائدة: 13}

* الإغراء بالعداوة والبغضاء:

قال تعالى:{ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ} [المائدة: 14]

* تحريم الطيبات:

قال تعالى:{ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللهِ كَثِيرًا }[النساء: 160]

* القتل والتشريد:

قال تعالى: {الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} [الأنفال: 56-57]

* الضلال عن سواء السبيل:

قال تعالى: {وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ} [المائدة: 12]. ثم قال في آخر الآية بعد تفصيل الميثاق: {فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ}[المائدة: 12]

* الجناية على النفس:

قال تعالى:{ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ } [الفتح: 10] فالناقض لعهده يجني على نفسه ويوبقها.

❖ المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة .

* أول سبيل للعلاج وأقوى سبيل الذي بينته الآيات الكريمة ، وهو العلم عن الله والعلم أنه يعلم السر وأخفى ويعلم ما ينتويه العبد عند إبرام العهد وعند خلفه.
* كذلك معرفة طبع النفس وأنه ظلومة جهولة .
* وكذلك مخالفة الهوى والشهوة.

الفصل الخامس

الصفات الاجتماعية

وفيه خمسة مباحث

- المبحث الأول: نشر الفتن بين المؤمنين
- المبحث الثاني: تدبير المكائد للمؤمنين
- المبحث الثالث: تشتيت شمل المؤمنين والتفريق بينهم
- المبحث الرابع: التربص بالمؤمنين
- المبحث الخامس: الاستهزاء والسخرية من المؤمنين

المبحث الأول: تشتيت شمل المؤمنين والتفريق بينهم

المبحث الثاني: نشر الفتن بين المؤمنين

المبحث الثالث: تدبير المكائد للمؤمنين

❖ المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها .

الآية الأولى: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (47) لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (48)}

يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: "{لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً } أي: نقصاً.**{ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ } أي: ولسعوا في الفتنة والشر بينكم، وفرقوا جماعتكم المجتمعين، {يَبْغُونَكُمُ ٱ لْفِتْنَةَ } أي: هم حريصون على فتنتكم وإلقاء العداوة بينكم.** {وَفِيكُمْ } أناس ضعفاء العقول { سَمَّاعُونَ لَهُمْ } أي: مستجيبون لدعوتهم يغترون بهم، فإذا كانوا هم حريصين على خذلانكم، وإلقاء الشر بينكم، وتثبيطكم عن أعدائكم، وفيكم من يقبل منهم ويستنصحهم. فما ظنك بالشر الحاصل من خروجهم مع المؤمنين، والنقص الكثير منهم، فللّه أتم الحكمة حيث ثبطهم ومنعهم من الخروج مع عباده المؤمنين رحمة بهم، ولطفاً من أن يداخلهم ما لا ينفعهم بل يضرهم.{وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّالِمِينَ } فيعلم عباده كيف يحذرونهم، ويبين لهم من المفاسد الناشئة من مخالطتهم. ثم ذكر أنه قد سبق لهم سوابق في الشر فقال:{ لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ } أي: حين هاجرتم إلى المدينة، بذلوا الجهد، { وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلأُمُورَ } أي: أداروا الأفكار، وأعملوا الحيل في إبطال دعوتكم وخذلان دينكم، ولم يقصروا في ذلك، { حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ } فبطل كيدهم واضمحل باطلهم، فحقيق بمثل هؤلاء أن يحذر الله عباده المؤمنين منهم، وأن لا يبالي المؤمنين بتخلفهم عنهم."[1]

الآية الثانية: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (107)}

تم بيان معنى الآية من قبل

❖ المطلب الثاني: خطورة الصفة .

إن الحريص على الوقيعة بين المؤمنين وتشتيت شملهم بنشر الفتن وتدبير المكائد من شرار الناس فقد قال صلى الله عليه وسلم: "إن خيار عباد الله من هذه الأمة الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى، وإن شرار عباد الله من هذه الأمة المشاؤون بالنميمة، **المفرقون بين الأحبة**، الباغون للبرآء العنت". [رواه أحمد وابن حبان والبخاري في الأدب المفرد، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة.] وربما يضطره هذا للكذب والخيانة وإفشاء الأسرار وغيرها من الكبائر.

---

[1] - تفسير السعدي ج 1 ص 847

❖ المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق.

* سخط الله ومقته
* بغض الناس والنفور منه، والفضيحة بينهم.
* قلق القلب
* هو شُؤْمٌ لَا تَنْزِلُ الرَّحمة على قوم هو فيهم.

❖ المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة .

أول العلاج الامتناع عن نقل الأخبار بين الناس يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاما تظهر المصلحة فيه، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة، فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، بل هذا كثير وغالب في العادة.

ويتذكر أمورا :

أولا: أنه متعرض لسخط الله ومقته وعقابه .

ثانيا: أن يستشعر عظيم إفساده للقلوب وخطر وشايته في تفّرق الأحبة .

ثالثا: أن يتذكر الآيات والأحاديث الواردة في عقوبة ذلك .

رابعا: عليه أن يجاهد في إشاعة المحبة بين المسلمين .

سابعا: عليه بالرفقة الصالحة .

تاسعا: أن يتذكر الموت وقصر الدنيا وقرب الأجل وسرعة الانتقال إلى الدار الآخرة .

المبحث الرابع: التربص بالمؤمنين

❖ المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها .

الآية الأولى: {إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ (50)}

يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: " يقول تعالى مبيناً أن المنافقين هم الأعداء حقاً، المبغضون للدين صرفاً:**{ إن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ } كنصر وإدالة على العدو { تَسُؤْهُمْ } أي: تحزنهم وتغمهم.** { وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ} كإدالة العدو عليك {يَقُولُواْ } متبجحين بسلامتهم من الحضور معك. { قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ } أي: قد حذرنا وعملنا بما ينجينا من الوقوع في مثل هذه المصيبة. {وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ } **فيفرحون بمصيبتك، وبعدم مشاركتهم إياك فيها**" [1]

الآية الثانية: {مِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (98)}

يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: :" منهم { مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ } من الزكاة والنفقة في سبيل الله وغير ذلك، { مَغْرَماً } أي: يراها خسارة ونقصاً، لا يحتسب فيها، ولا يريد بها وجه الله، ولا يكاد يؤديها إلا كرهاً. **{ وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَائِرَ } أي: من عداوتهم للمؤمنين وبغضهم لهم، أنهم يودون وينتظرون فيهم دوائر الدهر، وفجائع الزمان، وهذا سينعكس عليهم، فعليهم دائرة السوء. وأما المؤمنون فلهم الدائرة الحسنة على أعدائهم، ولهم العقبى الحسنة،** { وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } يعلم نيات العباد، وما صدرت عنه الأعمال من إخلاص وغيره." [2]

❖ المطلب الثاني: خطورة الصفة .

هذه الصفة لا تجتمع هي والإيمان في قلب أبدًا وقد قال النبي صلى الله عبيه وسلم : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " رواه البخاري ومسلم. فالفرح بمصائب الغير لا يكون إلا عن بغض لهم، أما المؤمنون فإنهم وإن اختلفوا في الاجتهادات والمواقف، فإن لحمة الدين تبقى أشد وصلة الإيمان أوثق.

❖ المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق.

* الإيذان بحرب من الله
* الهم والضنك لكل أمر حسن يحصل للمؤمنين
* تنزع الإيمان

---

[1] - تفسير السعدي ج1 ص 849
[2] - تفسير السعدي ج1 ص 874

* يبتلى بما فرح به في غيره.

❖ المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة .

بعد مجاهدة النفس والترع والدعاء من أفضل العلاجات صوم ثلاثة أيام من كل شهر فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ألا أخبركم بما يذهب وحر الصدر ؟ صوم ثلاثة أيام من كل شهر". رواه النسائي وصححه الألباني.

المبحث الخامس: الاستهزاء والسخرية من المؤمنين

❖ المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها .

{الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(79) اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (80)}

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "وهذا أيضاً من مخازي المنافقين، فكانوا –قبحهم الله– لا يدعون شيئاً من أمور الإسلام والمسلمين يرون لهم مقالاً، إلا قالوا وطعنوا بغياً وعدواناً، فلما حثَّ الله ورسوله على الصدقة، بادر المسلمون إلى ذلك، وبذلوا من أموالهم كل على حسب حاله، منهم المكثر، ومنهم المقل، فيلمزون المكثر منهم، بأن قصده بنفقته الرياء والسمعة، وقالوا للمقل الفقير: إن الله غني عن صدقة هذا، فأنزل الله تعالى: {ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ } أي: يعيبون ويطعنون { ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ } فيقولون: مراؤون، قصدهم الفخر والرياء.{وَ } يلمزون { الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ } فيخرجون ما استطاعوا ويقولون: الله غني عن صدقاتهم { فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ} فقابلهم الله على صنيعهم بأن { سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } فإنهم جمعوا في كلامهم هذا بين عدة محاذير.

منها: تتبعهم لأحوال المؤمنين، وحرصهم على أن يجدوا مقالاً يقولونه فيهم، والله يقول:{إِن الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَاحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [النور: 19]

ومنها: طعنهم بالمؤمنين لأجل إيمانهم، كفر بالله تعالى وبغض للدين.

ومنها: أن اللمز محرم، بل هو من كبائر الذنوب في أمور الدنيا، وأما اللمز في أمر الطاعة، فأقبح وأقبح.

ومنها: أن من أطاع الله وتطوع بخصلة من خصال الخير، فإن الذي ينبغي هو إعانته وتنشيطه على عمله، وهؤلاء قصدوا تثبيطهم بما قالوا فيهم وعابوهم عليه.

ومنها: أن حكمهم على من أنفق مالاً كثيراً بأنه مراء، غلط فاحش، وحكم على الغيب، ورجم بالظن، وأي شر أكبر من هذا؟!!

ومنها: أن قولهم لصاحب الصدقة القليلة: " الله غني عن صدقة هذا " كلام مقصوده باطل، فإن الله غني عن صدقة المتصدق بالقليل والكثير، بل وغني عن أهل السماوات والأرض، ولكنه تعالى أمر العباد بما هم مفتقرون إليه، فالله – وإن كان غنياً عنهم – فهم فقراء إليه { فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ } [الزلزلة: 7]

وفي هذا القول من التثبيط عن الخير ما هو ظاهر بيّن،

ولهذا كان جزاؤهم أن سخر الله منهم، ولهم عذاب أليم.{ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً } على وجه المبالغة، وإلا فلا مفهوم لها. {فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ } كما قال في الآية الأخرى:{سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ} [المنافقون: 6] ثم ذكر السبب المانع لمغفرة الله لهم فقال: { لَهُمْ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ } والكافر لا ينفعه الاستغفار ولا العمل ما دام كافراً. { وَٱللَّهُ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ } أي: الذين صار الفسق لهم وصفاً، بحيث لا يختارون عليه سواه ولا يبغون به بدلاً يأتيهم الحق الواضح فيردونه، فيعاقبهم الله تعالى بأن لا يوفقهم له بعد ذلك."[1]

---

[1]- تفسير السعدي ج 1 ص 864 ، 865

❖ المطلب الثاني: خطورة الصفة .

هذه الصفة دالّة على وضاعة صاحبها لذلك يسخر من غيره من الفاعلين إذا عجزوان بلوغ الأفق الذي وصلوا إليه، ولكنه يلبس سخريته ثوبًا يستر عجزه وضعفه ووضاعته" وفي زماننا تجد من يلمز المؤمنين والعلماء ويجعل الخير شرًا والأدب بلاهة وغيرها. وهي عادة كل الفجار في كل زمان كما قال قوم نوح: {فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (27)}

وأبرز أسباب هذه الصفة:

* مجالس اللغو والفراغ التي لا تفتح للإنسان إلا أبواب السوء والشر والمنكر
* الرغبة في إضحاك الناس
* قلة العلم وضعف الخوف من الله تعالى

❖ المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق.

من الآيات يتبين

* الجزاء من جنس العمل، فيسخر الله منهم.
* حصول العذاب الدنيوي
* عدم قبول دعاء لصالحين لهم
* عدم حصول المغفرة لهم
* تلبسهم بالفسق

❖ المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة .

* الحد من مجالس اللهو والانصراف عنها
* أن تعمر المجالس بذكر الله تعالى ومدارسة العلم
* أن يقوم أهل العلم بواجبهم في تصدر هذه المجالس، فيحذروا المسلمين منها ويبينوا خطرها

الفصل السادس

حالهم مع القرآن

وفيه أربعة مباحث

- المبحث الأول: عدم زيادة الإيمان بالقرآن
- المبحث الثاني: عدم محبة مجالس القرآن
- المبحث الثالث: الخوف من نزول القرآن خشية أن يفضحهم
- المبحث الرابع : عدم العمل بالقرآن

المبحث الأول: عدم زيادة الإيمان بالقرآن

❖ المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها

{وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (124) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (125)}

يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: " يقول تعالى: مبيناً حال المنافقين، وحال المؤمنين عند نزول القرآن، وتفاوت ما بين الفريقين فقال: { وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ } فيها الأمر والنهي، والخبر عن نفسه الكريمة، وعن الأمور الغائبة، والحث على الجهاد.

{فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِ إِيمَاناً } أي: حصل الاستفهام لمن حصل له الإيمان بها من الطائفتين.

قال تعالى – مبيناً الحال الواقعة –: { فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً } بالعلم بها، وفهمها واعتقادها، والعمل بها، والرغبة في فعل الخير، والانكفاف عن فعل الشر. {وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } أي: يبشر بعضهم بعضاً بما منَّ الله عليهم من آياته، والتوفيق لفهمها والعمل بها. وهذا دال على انشراح صدورهم لآيات الله، وطمأنينة قلوبهم، وسرعة انقيادهم لما تحثهم عليه. {وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ } أي: شك ونفاق { فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ } أي: مرضاً إلى مرضهم، وشكاً إلى شكهم، من حيث إنهم كفروا بها وعاندوها وأعرضوا عنها، فازداد لذلك مرضهم، وترامى بهم إلى الهلاك { وَ } الطبع على قلوبهم، حتى { مَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ } وهذا عقوبة لهم، لأنهم كفروا بآيات الله وعصوا رسوله، فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه. قال تعالى – موبخاً لهم على إقامتهم على ما هم عليه من الكفر والنفاق –: { أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ } بما يصيبهم من البلايا والأمراض، وبما يبتلون من الأوامر الإلهية التي يراد بها اختبارهم. {ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ } عما هم عليه من الشر { وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ } ما ينفعهم، فيفعلونه، وما يضرهم، فيتركونه. فالله تعالى يبتليهم –كما هي سنته في سائر الأمم– بالسراء والضراء وبالأوامر والنواهي ليرجعوا إليه، ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون. وفي هذه الآيات دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، وأنه ينبغي للمؤمن أن يتفقد إيمانه ويتعاهده، فيجدده وينميه، ليكون دائماً في صعود."[1]

المبحث الثاني: عدم محبة مجالس القرآن

❖ المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها .

{وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (127)}

يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: "يعني: أن المنافقين الذين يحذرون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم، إذا نزلت سورة ليؤمنوا بها، ويعملوا بمضمونها { نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ } جازمين على ترك العمل بها، ينتظرون الفرصة في الاختفاء عن أعين المؤمنين، ويقولون: {

[1] - تفسير السعدي ج 1 ص 894

هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا } متسللين، وانقلبوا معرضين، فجازاهم الله بعقوبة من جنس عملهم، فكما انصرفوا عن العمل { صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } أي: صدها عن الحق وخذلها. {بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ } فقها ينفعهم، فإنهم لو فقهوا، لكانوا إذا نزلت سورة آمنوا بها، وانقادوا لأمرها .والمقصود من هذا بيان شدة نفورهم عن الجهاد وغيره، من شرائع الإيمان، كما قال تعالى عنهم: { فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ }"[1]

المبحث الثالث: الخوف من نزول القرآن خشية أن يفضحهم

❖ المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها .

{يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (64)}

يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: " {يَحْذَرُ ٱلْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِم } أي تخبرهم وتفضحهم، وتبين أسرارهم، حتى تكون علانية لعباده، ويكونوا عبرة للمعتبرين." { قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ } أي: استمروا على ما أنتم عليه من الاستهزاء والسخرية. { إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ } وقد وفَّى تعالى بوعده، فأنزل هذه السورة التي بينتهم وفضحتهم وهتكت أستارهم."[2]

المبحث الرابع : عدم العمل بالقرآن

❖ المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها .

{ إِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ (86)}

يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: " يقول تعالى: في بيان استمرار المنافقين على التثاقل عن الطاعات، وأنها لا تؤثر فيهم السور والآيات: { وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ } يؤمرون فيها بالإيمان بالله والجهاد في سبيل الله. { ٱسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ } يعني: أولي الغنى والأموال، الذين لا عذر لهم، وقد أمدهم الله بأموال وبنين، أفلا يشكرون الله ويحمدونه، ويقومون بما أوجبه عليهم، وسهل عليهم أمره، ولكن أبوا إلا التكاسل والاستئذان في القعود { وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُنْ مَّعَ ٱلْقَاعِدِينَ }."[3]

❖ المطلب الثاني: خطورة هذه الصفات الثلاثة.

هذه هي **الصفة الجامعة المانعة ؛ الحال مع القرآن** ، فمشاركة المنافق في أي صفة من الصفات الماضية كارثة ، ومشاركته في هذه الصفة هي الطامة بحق ، لأنه من لم يعمل به ولم يتدبره وبم ينتفع به كان تعيسًا وناله الشقاء ولابد ، قال تعالى : { وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ

---

[1]- تفسير السعدي ج 1 ص 895
[2]- تفسير السعدي ج1 ص 855
[3]- تفسير السعدي ج 1 ص 868

مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)} ، فالانتفاع بالقرآن والعمل به هو الحد الفاصل بين الإيمان والكفر ، ومن ورد مورد القرآن فإنه إما يخرج منتفعًا أو خاسرًا لا ثالث لهما ، قال تعالى: { وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (82)}، فالحذر الحذر من التلبس بهذه الصفة .

❖ المطلب الثالث: عاقبة هذه الصفات في الدنيا على المنافق.

إن الله جل وعلا قد يعاقب من استرسل في شعبة من شعب النفاق بأن يسلط عليه مثلها، لذلك كان من لم ينتفع بالقرآن عقوبته أن يزيده الله مرضًا إلى مرضه ولا يصلحه.كذلك من عقوباته:

* حصول الفتن الدنيوية له وتكرارها.
* عدم الانتفاع بالايات الكونية كما لم ينتفعوا بالايات الشرعية
* أن يصرف الله قلوبهم عن محلة القرآن وأهله ومجالس ذكره
* المعيشة الضنك ، والقلق والاضطراب الدائم

❖ المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة

قال ابن القيم رحمه الله : " إذا أردْت الِانْتِفَاع بِالْقُرْآنِ فاجمع قَلْبك عِنْد تِلَاوَته وسماعه وألْقِ سَمعك واحضر حُضُور من يخاطبه بِهِ من تكلّم بِهِ سُبْحَانَهُ مِنْهُ إِلَيْهِ فانه خَاطب مِنْهُ لَك على لِسَان رَسُوله قَالَ تَعَالَى {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيد} وَذَلِكَ أَن تَمام التَّأْثِير لما كَانَ مَوْقُوفا على مُؤثر مُقْتَض وَمحل قَابل وَشرط لحُصُول الْأَثر وَانْتِفَاء الْمَانِع الَّذِي يمْنَع مِنْهُ تضمّنت الْآيَة بَيَان ذَلِك كلّه بأوجز لفظ وأبينه وأدلّه على المرَاد فَقَوله {إِنَّ فِي ذَلِكَ لذكرى} اشار إِلَى مَا تقدّم من أول السُّورَة الى هَهُنَا وَهَذَا هُوَ المؤثّر وَقَوله {لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ} فَهَذَا هُوَ الْمحل الْقَابِل وَالْمرَاد بِهِ الْقلب الحيّ الَّذِي يعقل عَن الله كَمَا قَالَ تَعَالَى {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًا} أَي حيّ الْقلب وَقَوله {أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ} أَي وجّه سَمعه وأصغى حاسّة سَمعه إِلَى مَا يُقَال لَهُ وَهَذَا شَرط التأثّر بالْكَلَام وَقَوله {وَهُوَ شَهِيدٌ} أَي شَاهد الْقلب حَاضر غير غَائِب قَالَ ابْن قُتَيْبَة اسْتمع كتاب الله وَهُوَ شَاهد الْقلب والفهم لَيْسَ بغافل وَلَا ساه وَهُوَ إِشَارَة إِلَى الْمَانِع من حُصُول التَّأْثِير وَهُوَ سَهْو الْقلب وغيبته عَن تعقّل مَا يُقَال لَهُ وَالنَّظَر فِيهِ وتأمّله فَإِذا حصل الْمُؤثر وَهُوَ الْقُرْآن وَالْمحل الْقَابِل وَهُوَ الْقلب الْحَيّ وَوجد الشَّرْط وَهُوَ الإصغاء وانتفى الْمَانِع وَهُوَ اشْتِغَال الْقلب وذهوله عَن معنى الْخطاب وانصرافه عَنهُ إِلَى شَيْء آخر حصل الْأَثر وَهُوَ الِانْتِفَاع والتذكّر." [1]

فمن لم يستطع تدبر القرآن فعليه:

* أن يزيل ما في قلبه من أمراض تعيق بينه وبين التدبر
* أن يصحح مقصده

---

[1]- الفوائد لابن القيم

الفصل السابع

المآل والعاقبة

وفيه مبحثان

- المبحث الأول : في الدنيا وفيه خمسة مطالب
  - المطلب الأول: نزول القرآن يفضحهم
  - المطلب الثاني: الطبع على القلب
  - المطلب الثالث: خروجهم من مسمى الإيمان
  - المطلب الرابع: حصول العذاب الدنيوي لهم
  - المطلب الخامس : النهي للمؤمنين عن الدعاء والاستغفار لهم
- المبحث الثاني : في الآخرة وفيه خمسة مطالب
  - المطلب الأول : في القبر
  - المطلب الثاني: عند رؤية الرب
  - المطلب الثالث: عند الحساب
  - لمطلب الرابع : على الصراط
  - المطلب الخامس: في النار

المبحث الأول : في الدنيا

❖ المطلب الأول: نزول القرآن يفضحهم

قال تعالى: {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (64)}

❖ المطلب الثاني: الطبع على القلب

قال تعالى : {رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (87)}

❖ المطلب الثالث: خروجهم من مسمى الإيمان

قال تعالى: { وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (125)}

❖ المطلب الرابع: حصول العذاب الدنيوي لهم

قال تعالى: { فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (74)}

❖ المطلب الخامس : النهي للمؤمنين عن الدعاء والاستغفار لهم

قال تعالى: { اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (80)}

المبحث الثاني : في الآخرة

وهذا العقاب لعل السورة الكريمة لم تتطرق له بالتفصيل لكننا سنجمعه من غيرها من السور ومن السنة حتى تتم الفائدة

❖ المطلب الأول : في القبر

عَن أنس بن مَالك رضي الله عنه عَن النَّبِي صلى الله عليه وسلم أَنه قَالَ: "إِن العَبْد إِذا وضع فِي قَبره وَتَوَلَّى عَنهُ أَصْحَابه انه ليسمع قرع نعَالهمْ وَذكر الحَدِيث زَاد البخارى **وَأما الْمُنَافِق وَالْكَافِر فَيُقَال لَهُ مَا كنت تَقول فِي هَذَا الرجل فَيَقُول لَا أدرى كنت أَقُول مَا يَقُول النَّاس فَيُقَال لَا دَريت وَلَا تليت وَيضْرب بِمِطْرَقَةٍ من حَدِيد يَصِيح صَيْحَة يسْمعهَا من يَلِيهِ إِلَّا الثقلَيْن** " رواه البخارى

❖ المطلب الثاني: عند رؤية الرب

عن عبد الله بن عمر قال : "إذا كان يوم القيامة قال : يقوم الناس بين يدي رب العالمين أربعين عاما ، شاخصة أبصارهم إلى السماء ، حفاة عراة ، يلجمهم العرق ، ولا يكلمهم بشر أربعين عاما ، ثم ينادي مناد : يا أيها الناس أليس عدلا من ربكم الذي خلقكم وصوركم ورزقكم ، ثم عبدتم غيره ، أن يولي كل قوم ما تولوا؟ قالوا : نعم؟ قال : فيرفع لكل قوم ما كانوا يعبدون من دون الله؛ قال : ويمثل لكل قوم – يعني آلهتهم – فيتبعونها حتى تقذفهم في النار ، فيبقى المسلمون والمنافقون ، فيقال : ألا تذهبون فقد ذهب الناس؟ فيقولون : حتى يأتينا ربنا ، قال : وتعرفونه؟ فقالوا : إن اعترف لنا ، قال : فيتجلى ، فيخر من كان يعبده ساجدا ، قال : **ويبقى المنافقون لا يستطيعون ، كأن في ظهورهم السفافيد . قال : فيذهب بهم فيساقون إلى النار ، فيقذف بهم** ، ويدخل هؤلاء الجنة " [1]

❖ المطلب الثالث: عند الحساب

قال تعالى: { قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (53)}

❖ المطلب الرابع : على الصراط

قال تعالى: { يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آَمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (13) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (14) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (15)}[الحديد]

---

[1]- رواه الطبري في تفسيره

❖ المطلب الخامس: في النار

هم في الدرك الأسفل من النار ، قال تعالى: { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (145)}، وذلك لأنه لما استحلوا في الدنيا باسم الإسلام عصمة الدم والمال وغيرها من حقوق المسلمين وأمنوا مما كان فيه الكفار والمشركين كان عقابهم أشد ولأنهم أضروا بالمسلمين وخدعوهم وخادعوا الله عز وجل وما يخدعون إلا أنفسهم .

نعوذ بالله من حالهم ومآلهم في الدنيا والآخرة

الخاتمة

وبعد، فإنه تبين من خلال آيات سورة التوبة خطورة المنافقين على المؤمنين ووجوب الحذر منهم ، وخطورة حالهم ووجوب الحذر من الاتصاف به، فيلزم العبد أن يضع صفاتهم أمام عينيه كي يخرجها منه ويستخلصها .

وأما عن الأثر الشخصي لهذا البحث فإنه قد غير تصوري عن النفاق تمـــــامًا ؛ فقد كنت سابقاً أتوهم أن "النفاق" هو قرار يتخذه المرء، فيقرر بأنه سيكون منافق يظهر الإسلام ويبطن الكيد له، كنت أظن النفاق مؤامرة كبرى تتخذ بتخطيط شامل، ولم أتوقع بتاتاً أن النفاق قد يقع في القلب بأمور نعدها في موازيننا من هوامش الأمور.

فإن السورة الكريمة أشارت إلى كون المنافقين يصلون، بل إلى أنهم يذكرون الله، ومع ذلك لم يخرجه ذلك عن وصف النفاق.

أصبحت أرى أن النفاق هو تجمع للصفات الخبيثة فهو بحس كثافتها كلما تركها المرء تزداد كلما اقترب من النفاق – نعوذ بالله من ذلك.

فهل نحن نخلو من صور موالاة الكفار !

هل نحن نخلو من النهاون في أداء الصلاة !

كيف حالنا في المسابقة إلى الطاعات ؟؟ أم نحن عنها متثاقلون!

هل عندها التعلق بالدنيا والانشغال بها والعمل لأجلها !

وماذا عن الشماتة في المؤمنين !!!

وأما عن خلف الوعد فحدث ولا حرج ...

وكيف حالنا مع القرآن، هل نتفهمه ونعمل بما فيه أم نقيم حروفه ونضيع حدوده !!!!!!

فيجب على كل منا أن يبدأ بتخلية نفسه من هذه الصفات حتى ينجو من عواقبها في لدنيا والآخرة.

والله وحده المستعان وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل

تم البحث بحمد الله ومنته ، فما كان فيه من خير وبركة فمن الله وحده وما كان فيه من خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان ونسأله سبحانه العلم النافع والعمل به والقبول

والحمد لله رب العالمين

فهرس المراجع

* أسماء السور وفضائلها لمنيرة الدوسري دار ابن الجوزي.
* تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور دار سحنون.
* زاد المسير لابن الجوزي دار ابن حزم.
* الدر المنثور للسيوطي.
* فتح القدير للشوكاني.
* إرشاد الساري شرح صحيح البخاري.
* أنوار التنزيل للبيضاوي.
* عمدة القاري للعيني.
* الجامع لأحكام القرآن للقرطبي دار الرسالة.
* منار الهدى في الوقف والابتدا للأشموني.
* البرهان في علوم القرآن للزركشي.
* البرهان في تناسب سور القرآن لأحمد الثقفي دار ابن الجوزي.
* نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي مكتبة ابن عباس.
* المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن لمحمد جبل مكتبة الآداب.
* ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.
* مقاييس اللغة لابن فارس دار الفكر .
* نواقض الإيمان الاعتقادية لمحمد الوهيبي .
* الإسلام حقيقته وخوارمه ونوافضه عند أهل السنة لعبد الله الأثري مدار الوطن للنشر.
* تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي دار السلام للنشر.
* جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري دار السلام .
* صحيح البخاري دار ابن حزم .

* صحيح مسلم دار ابن حزم.
* مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني دار القلم
* تسهيل العقيدة لابن جيرين
* الفوائد لابن القيم الجوزية.
* موقع الدررالسنية – موسوعة الأخلاق .

فهرس الموضوعات

المقدمة 2

التمهيد 8

❁بين يدي السورة 9

- ❖ أسماء السورة وعلاقة الأسماء بموضوع السورة: 9
- ❖ ما ورد في نزولها : 11
- ❖ عدد آيها 11
- ❖ موضوعات السورة الكريمة ومقاصدها 12
- ❖ مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها 13

❁التعريف بالنفاق 15

- ❖ تعريف النفاق 15
- ❖ أسباب ظهور النفاق والمنافقين 17
- ❖ دركات النفاق 17

سورة التوبة والمنافقون 19

الفصل الأول / الصفات العقدية 20

❁المبحث الأول: الريب والشك 21

- ❖ المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها 21
- ❖ المطلب الثاني: خطورة الصفة 22
- ❖ المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق 22
- ❖ المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة 22

❁المبحث الثاني: الاستهزاء بالله وبرسوله وبآياته 24

- ❖ المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها 24
- ❖ المطلب الثاني: خطورة الصفة 25
- ❖ المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق 26
- ❖ المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة 26

❁المبحث الثالث: موالاة الكفار 27

- المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها. 27
- المطلب الثاني: خطورة الصفة. 28
- المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق. 28
- المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة 29

الفصل الثاني/ الصفات التعبدية 30

المبحث الأول: الكسل في الصلاة 31

- المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها. 31
- المطلب الثاني: خطورة الصفة. 31
- المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق. 32
- المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة 32

المبحث الثاني: كراهية الإنفاق في سبيل الله والبخل 33

- المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها. 33
- المطلب الثاني: خطورة الصفة. 34
- المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق. 35
- المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة 36

المبحث الثالث: التثاقل عن الجهاد 37

- المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها 37
- المطلب الثاني: خطورة الصفة 37
- المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق. 38
- المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة 38

المبحث الرابع : اختلاق الأعذار لترك الطاعات 39

- المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها 39
- المطلب الثاني: خطورة الصفة 42
- المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق. 42
- المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة 42

المبحث الخامس: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف 43

- المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها 43
- المطلب الثاني: خطورة الصفة 44
- المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق..... 44
- المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة 44

الفصل الثالث/ الصفات القلبية..... 45

المبحث الأول: محبة انتصار الباطل على الحق..... 46

- المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها 46
- المطلب الثاني: خطورة الصفة 46
- المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق..... 46
- المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة 46

المبحث الثاني: الخوف والجبن 47

- المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها 47
- المطلب الثاني: خطورة الصفة 47
- المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق..... 47
- المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة 48

المبحث الثالث: الرضا بالدنيا والعمل لأجلها فقط..... 49

- المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها 49
- المطلب الثاني: خطورة الصفة 49
- المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق..... 50
- المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة 50

المبحث الرابع : الفرح بالمعصية 51

- المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها 51
- المطلب الثاني: خطورة الصفة 51
- المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق..... 52
- المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة 52

المبحث الخامس: الانشغال برضا الناس عن رضا الله 53

- المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها 53
- المطلب الثاني: خطورة الصفة 54
- المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق..... 54
- المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة 54

الفصل الرابع/ الصفات الخُلُقية 55

المبحث الأول: الكذب..... 56

- المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها. 56
- المطلب الثاني: خطورة الصفة. 57
- المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق..... 57
- المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة 58

المبحث الثاني: كثرة الحلف..... 59

- المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها. 59
- المطلب الثاني: خطورة الصفة. 59
- المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق..... 59
- المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة 59

المبحث الثالث: خلف الوعد..... 60

- المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها. 60
- المطلب الثاني: خطورة الصفة. 60
- المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق..... 61
- المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة 62

الفصل الخامس / الصفات الاجتماعية..... 63

المبحث الأول: تشتيت شمل المؤمنين والتفريق بينهم 64

المبحث الثاني: نشر الفتن بين المؤمنين..... 64

المبحث الثالث: تدبير المكائد للمؤمنين..... 64

- المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها 64
- المطلب الثاني: خطورة الصفة 64

- المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق..... 65
- المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة 65

المبحث الرابع: التربص بالمؤمنين 66

- المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها 66
- المطلب الثاني: خطورة الصفة 66
- المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق..... 66
- المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة 67

المبحث الخامس: الاستهزاء والسخرية من المؤمنين..... 68

- المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها 68
- المطلب الثاني: خطورة الصفة 69
- المطلب الثالث: عاقبة تلك الصفة في الدنيا على المنافق..... 69
- المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة 69

الفصل السادس / حالهم مع القـــرآن 70

المبحث الأول: عدم زيادة الإيمان بالقرآن 71

- المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها 71

المبحث الثاني: عدم محبة مجالس القرآن..... 71

- المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها 71

المبحث الثالث: الخوف من نزول القرآن خشية أن يفضحهم 72

- المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها 72

المبحث الرابع : عدم العمل بالقرآن 72

- المطلب الأول: الآيات التي وردت فيها الصفة في السورة ومعناها 72
- المطلب الثاني: خطورة هذه الصفات الثلاثة. 72
- المطلب الثالث: عاقبة هذه الصفات في الدنيا على المنافق. 73
- المطلب الرابع: التوجيهات التربوية العلاجية لهذه الصفة..... 73

الفصل السابع/ المآل والعاقبة 74

المبحث الأول : في الدنيا 75

- المطلب الأول: نزول القرآن يفضحهم 75
- المطلب الثاني: الطبع على القلب 75
- المطلب الثالث: خروجهم من مسمى الإيمان 75
- المطلب الرابع: حصول العذاب الدنيوي لهم 75
- المطلب الخامس : النهي للمؤمنين عن الدعاء والاستغفار لهم 75

المبحث الثاني : في الآخرة 76

- المطلب الأول : في القبر 76
- المطلب الثاني: عند رؤية الرب 76
- المطلب الثالث: عند الحساب 76
- لمطلب الرابع : على الصراط 76
- المطلب الخامس: في النار 77

الخاتمة 78

فهرس المراجع 79